آرشي أوغستاين

وجهة نظر مسيحية

دفاعاً عن الجهاد

حقيقة الجهاد

IN DEFENCE OF JIHAD



ترجمة
محمد الواكد

مراجعة
د. منذر الحايك

آرشي أوغستاين

ARCHIE AUGUSTINE

وجهة نظر مسيحية دفاعاً عن الجهاد

(حقيقة الجهاد)

In Defence Of Jihad

ترجمة: محمد الواكد

مراجعة: د. منذر الحايك

صفحات

صفحات
للدراسات و النشر

نحو فكر حضاري متجدد

الكتاب: (وجهة نظر مسيحية) دفاعاً عن الجهاد . حقيقة الجهاد

المؤلف: آرشي أوغستاين   **ترجمة:** محمد الواكد

الإصدار الأول 2008 م

سورية ـ دمشق ـ ص.ب: 3397

هاتف: 095 13 22 11 00963

تلفاكس: 013 33 22 11 00963

الإشراف العام: يزن يعقوب

جوال: 181 418 933 00963

www.darsafahat.com

info@darsafahat.com

الإخراج الفني: فؤاد يعقوب

جوال: 764 902 933 00963

التدقيق اللغوي: صايل كفيري

الغلاف: هلا خلوصي

عدد الصفحات: 112

عدد النسخ: 1000

مقدمة

أنا محامٍ ومسيحي كاثوليكي ملتزم ومع ذلك فإنني أشكر الظروف التي أتاحت لي الاطلاع على نسخة من القرآن الكريم ترجمها إلى الإنكليزية عبد الله يوسف علي، لأنها أوصلتني إلى استنتاج مفاده: أن غير المسلمين
لا ينبغي لهم أن يخافوا من ازدهار الإسلام، ولا من الأصولية الإسلامية،
بل على العكس فقد رأيت أنه يجب أن يكون لدينا الكثير من العرفان بالجميل والتطلع بأمل نحو تلك الآفاق.

وفي كل الأحوال، إن ما يجب أن نخاف منه هو جهلنا بذلك النوع من الإيمان، وشكوكنا حوله، وإجحافنا به.

لم أقصد أن أكتب رواية، أو أدون عملاًفلسفياً دينياً، إن ما أقدمه هنا هو مجرد آراء بسيطة، بدأت بها وتابعتها حتى توصلت إلى نتيجة بنيتها بوساطة منطق ما قرأته فقط، ومع أني لم أنسق وراء ما قرأت، لكني، وللحقيقة، فُتنت بآيات القرآن الكريم، ولن أقدّم أي اعتذار لصراحتي في الكتابة، فما توصلت إليه من استنتاجات موضوعية، ومسلمات صغتها لنفسي أجدها معقولة جداً، فأنا ما كنت إلا مجرد رحالة عبر دروب وخطوط النص القرآني، كذلك تراني لا أدين لأي شخص باعتذار عن المعاناة التي أخذت تعصف بوجداني الثقافي.

أملي بأنّ البشر، من أتباع كافة الديانات والعلمانيين على اختلاف مهنهم، وخاصةً

المحامين والسياسيين، أن يقرؤوا ما كتبت جيداً وبلا تحفظات مسبقة، وبالتأكيد لن أرجو كلّ شخص ليفعل ذلك، لأن الحقيقة لا تنجلي دائماً للجميع! مع أنها كالبذرة التي ربّما تورق حتى في أكثر الأراضي قسوة.

آرشي أوغستاين

ايستكورت، كوازولو ـ ناتال

جمهورية جنوب أفريقيا

الفصل الأول

مسيرة العلمانية

تقوم الأصولية الإسلامية على الاعتقاد بالتفسير الحرفي لآيات القرآن الكريم كما تنزلت تماماً، رغبة في إعطاء المعنى الظاهر للآيات، وهو ما يتوافق مع القواعد المعاصرة لتفسير نصوص القانون، لذا تعتنق هذه الأصوليّة ما هو واضح وجلي وصادق ولا يمكن نقده من محتوى الكتاب الكريم.

لماذا إذاً يتم إظهار الأصوليين الإسلاميين بشكل مغاير في أجهزة الإعلام الغربية، بينما لا يتوجه ذلك الإعلام إلى الأصوليّين المسيحيين بالطريقة نفسها؟

ولماذا لا توجه الحملات ضدّ الكنيسة الكاثوليكية لموقفها ضدّ الإجهاض والطلاق على سبيل المثال؟

إنّ سبب هذا بسيط! فالحكومات الغربية غالبيتها من العلمانيين، وليس للدين مكانة هامة عندهم، فهم يسنون القوانين ويضعون البرامج دون التفكير بالمواقف الدينية، فأي قانون أو برنامج لا يتأثر بأي من المعتقدات الدينية. إن العلمانية، هي تحالف، إذا جاز التعبير، بين قوى وطنية ودولية تتعارض مصالحها مع الأديان، ولذلك فهي ضمنياً لا تؤيد أي دين. ومن المغالطة الاعتقاد بأن الحكومات الغربية مسيحية بالفطرة، فببساطة نكتشف أن الواجهة المسيحية لها قد تشكلت لالتزامها الجازم بالحرية الدينية. ولكن التزامها بالعلمانية لا يعني أنّها حكومات نزيهة لمجرّد أنها تدعم التعدد الديني والثقافي، بل على العكس فحيثما تسود مثل هذه التعددية الدينية تكون تلك الحكومات قد هيأت الأرضية المثالية لفرض العلمانية باسم الديمقراطية، حيث يمكن للحكومة عند ذلك أن تُبطل عملياً،

بحجة الديمقراطية، المعتقدات الأساسية للأديان التي تدعي حمايتها، وذلك عبر الاسترضاء والمساومة وما يسمّى بالحقوق الديمقراطية. إنه ظلم خفي عن الأنظار يمارس بظل تشريع مبادئ مقبولة عموماً وتتوافق مع الديمقراطية، سواء كانت تلك المبادئ منسجمة مع المعايير الدينية أم لا، ومثال على ذلك: تشريع تعاطي المخدّرات والإجهاض.

وعندما يتعلق الأمر بالمبادئ الأخلاقية الدينية، فلا يوجد هناك أي اختلاف من حيث وجهة النظر في كل من الشيوعية والديمقراطية، لكن الشيوعية صادقة وواضحة تماماً بما يتعلق بطبيعتها العلمانية، أما الديمقراطية فليست كذلك، فهي تغرِّر وتزيِّف وتغوي عامة الناس بعيداً عن المبادئ الأخلاقية الدينية الصارمة. إنها تمثل طائفة دينية تأمر بكل ما هو جائز في القانون، أو مقبول فيه، وتوحي بأنه المعيار الذي يجب اتباعه، وبأنه المبادئ الأخلاقية المقبولة بالنسبة للأمة.

وفي النظام الديمقراطي الرأسمالي نجد أن السعي وراء الثروة، الذي يتم بوحشية غير مقيّدة، هو حجر الزاوية وهو دعامة المعتقد الذي يرتكز عليه هذا النظام، ولذلك تنمو الاحتكارات، وتتفاقم ظاهرة السعي خلف الربح تحت غطاء تحقيق النمو الاقتصادي للأمة، علماً بأن أصحاب الامتيازات عديمي الرحمة يجنون كلّ الفوائد، ما كبر منها وما صغر، وذلك بسيف السلطة وعبر الفساد والإجرام.

وإن النهم الشديد، لجني الأرباح السريعة والضخمة، يؤدّي إلى سوء معاملة القوة العاملة وتدهور مستوى أجورها، فيكون تجمع العمال ضمن اتحادات ونقابات هو النتيجة الطبيعية لهذا النظام. وبالمنطق التجاري الرافض التخلي عن الأرباح، والذي يعارض بشدة تحسين الأجور، تتفاقم الفجوة بين المنتج والمستهلك، فيعاني المواطن العادي كثيراً ويتدهور مستوى معيشته باسم الاقتصاد الحرّ والديمقراطية. و يتصاعد النشاط الإجرامي بالوتيرة نفسها للسعي الحثيث خلف الثروات والأموال التي تفوق الحاجة، ويصبح الميسر ليس مجرّد انحراف ترفيهي، إذا جاز التعبير، بل حاجة ضرورية للبعض لمتابعة شغفهم بالثروة، ولآخرين لرغبتهم بإنقاذ فوري لأوضاعهم المالية الصعبة. ونحن هنا لا نستطيع الاستخفاف بنتائج تدمير هذه الحكومات للمبادئ الدينية، من خلال تأثيرها على أخلاقيات الأمة، ومن

ثم المساهمة في انحطاطها، فهي تشرع وتروّج لهذا الانحطاط سعياً وراء الأرباح والأصوات الانتخابية.

إن زعزعة البنية الاجتماعية والأخلاقية للأمة يصبح الهدف النهائي، تحت ستار ذريعة العمل السياسي، وعلى سبيل المثال: النظرة التحرّرية لتعاطي الشباب المخدرات وعده فعلًا غير إجرامي، والإجراءات المتسامحة مع حالات الإجهاض، والأحكام المخففة لجنح الأحداث، والاعتراف بالطوائف، وتخفيض العمر القانوني للحصول على رخصة قيادة السيارة، كلّها أمور موجهة لجذب الدعم السياسي، ولحماية الحزب السياسي الحاكم الذي يشرّع ويدعم هذا التحرر، فكلما كانت قيود الحزب على المجتمع أخف، كانت جاذبيته أعظم. فبتخفيض العمر القانوني لقيادة السيارة سوف يمتلئ الحزب بغزارة وبشكل فوري بالشباب المؤازرين، إنهم يهتفون للحزب، وبالطبع، لبيع السيارات فائقة السرعة، وبذلك فإن صناعة السيارات تنتعش، والإيرادات الحكومية تزداد، وكذلك الحزب ينال الدعم في الأصوات المستقبلية ويبقى في الحكم. فمن خلال العلمانية يجري حث العامة على تقديم الدعم المطلق للحزب الحاكم، والدعم المادي للتجار، وعلى الدوام المحسنون دائمو التودد للسلطة، ومرددو الشعارات يهتفون للسياسيين.

تحت ستار الديمقراطية تسترضي الحكومة الفرد، وتمنح الحقوق لبعض المجموعات: كالشباب والمسنين والنساء في مجال الخدمات والثقافة، كما تتيح الحكومة حريات أخرى غير مهمة من الأفكار والممارسات، وهي بهذا تكون قد قامت بتلميع وصقل ستار الديمقراطية الزائف، بينما هي عملياً تقسِّم الغنائم وتمالئ وتحكم. إنّ الممارسة الانتخابية هي ممارسة شخصية، المواطن الواحد يستخدم صوتاً واحداً، لذا فإن إدارة عقل كلّ ناخب هي أمر حيوي للحزب السياسي الذي يريد الوصول إلى السلطة أو يريد البقاء فيها، وذلك عن طريق طرح القضايا الخلافية، فيخلقون بذلك الخلاف بحد ذاته، ثم يقومون لاحقاً باتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة بقصد استرضاء الناس، لذا فهم يرمون الطعم بشكل مستمر في المياه الواسعة لاصطياد السمكة، ويعرضون تشكيلة واسعة من الفتات تمتد من الخبز إلى الديدان وإلى بقايا اللحم أو السمك، إن كلّما هو مقصود هو الإغراء ومن ثم

الاصطياد!

إن ما ينطبق على الأصوليين الكاثوليك ينطبق بالسواء على الأصوليين الإسلاميين، إذاً لماذا الإسلاميون هم هدف الهجوم؟ إنّ السبب بسيط: فالأصوليّة المسيحية رضيت لنفسها القيام بدور ثانوي يتمثل بشكل أساسي في اتخاذ موقف الدفاع ضد هجوم الحكومة الدائم عليها. والمرء يمكنه أن يتّهم الأصوليّة المسيحية بشكل قانوني ليس فقط بأنها متذلّلة للعلمانية، بل لكونها حليفة لها، فهي تعزّز وتشرع الأحزاب السياسية والأنظمة ذاتها التي تقوّض المبادئ المسيحية الأساسية.

من المسلم به أنّه عندما يسمح زعماء الكنيسة لأنفسهم بأن تلتقط لهم الصور بشكل مستمر مع القادة السياسيين، وأن يعتلوا معهم المنبر نفسه، فأياً كان محتوى الخطاب السياسي ومن دون إدراكهم المسبق له، ومن دون أن ينطقوا بالتحفّظات اللاهوتية، فإن زعماء الكنيسة هؤلاء يقولون لرعاياهم بأن الكنيسة تؤيد الحزب الحاكم وأولئك المتحدثين السياسيين وكل ما يحتويه خطابهم، إن الرسالة البصرية المتكرّرة التي تتلقاها الحشود الدينية من تلك الكنيسة سوف تدعم الحزب السياسي بشكل مؤكد. وبالتأكيد لا يمكن أن يكون زعماء الكنيسة سُذَّجاً لدرجة الاعتقاد بأن حضورهم ضروري للمشاركة في نقاش سياسي لمصلحة الأمة، الدلالة الوحيدة التي يمكن استخلاصها من حضورهم هي أنّهم يشاركون عن قصد لتشجيع أتباعهم على دعم حزب معيّن، فببساطة هذا ما يقومون به، رغم التأثير السلبي الذي تؤدي إليه بعض سياسات هذا الحزب على القيم المسيحية الأساسية.

إن صوت الأصوليّين الكاثوليك لا يزال بلا شكّ مسموعاً ولكنّه يبقى صوتاً دفاعياً كئيباً، فليس هناك هجوم محلي أو عالمي ضدّ البدع الدنيوية السائدة بفضل الحكومات العلمانية، إنهم يسمحون، بشكل أساسي، بتكيّف وتعديل وتغيير مسيحية مواطنيهم، إلى أن تفقد هذه المسيحية أي تشابه مع مسيحية السيد المسيح، فالمسيحية في تلك المجتمعات الآن لم تعد طريقة للحياة بل أضحت مجرد مناصب أكاديمية في الفاتيكان.

في هذا الوقت وفي أنحاء العالم كله نجد الإسلام، الذي هو آخر الديانات، يتمسك بأصوله. وأنصار الأصولية الإسلامية لديهم هدفان أساسيان، الأول هو الحفاظ على التغيرات ضمن نهج السنة المتوافق مع القرآن الكريم الذي يرفضون تفسيره طبقا للنزوات والحاجات الشخصية من قبل المسلمين. ثانيا وبشكل آني، يحاولون حماية الإسلام وطقوسه من أيّ هجوم خارجي أو فتنة داخلية.

الفصل الثاني

المقاومة رد الفعل

ما ذكرناه حتى الآن من حقائق موضوعية هي دليل كافٍ على أنّ الأصولية المسيحية، والمسيحية المعتدلة هما في حالة تدهور، وأن المؤسسة المسيحية بمجملها في تراجع، أو أنها في موقع دفاعي ضعيف جداً، وأنها باتت تعتمد بشكل أكبر على حدة صوت الداعية الأمريكي، بدلًامن الصلابة التي كانت يوماً ما لجدران الفاتيكان.

الأصوليون الإسلاميون يدركون جيداً هذه الحالة، وبشكل طبيعي جداً عليهم أن يحاذروا من أن يعاني الإسلام من المصير نفسه، إن مجرد الإدراك البسيط لهذا الواقع يفرض عليهم هذا الحذر، وبالفعل التزموا به. إن التجاوزات التي أصبحت عادات وعقائد راسخة، بل وينصح بها، في العقيدة المسيحية لا زالت مستمرة في النمو، هذه الانتهاكات لجوهر الدين لا تؤثّر على المسيحي فقط، بل على المسلم أيضاً لأن لهما معتقدين متوازيين بالأمور الأساسية، فإذا تجاوزنا بعض الاختلافات المذهبية التي لا تنقص من طبيعة العقيدتين المتكافئة نجد أنهما في الجوهر يدعوان إلى طريقة واحدة في الحياة.

(إن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصرى والصبئين من ءامن بالله واليوم الأخر وعمل صلحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [البقرة: 62]

(قل ياهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) [آل عمران: 64]

(قولوا ءامنا بالله وما انزل إلينا وما انزل إلى إبرهم وإسمعيل وإسحق ويعقوب

والأسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) [البقرة: 136]

من خلال هذه الآيات نتبين ببساطة أن المعتقدين ثوبان قدا من قماش واحد، وقد دنسهما وأبلاهما العث الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ذاته.

هناك اختلاف حقيقي ومتميّز جداً بين العهد الجديد) الإنجيل المقدس (والعهد الأخير) القرآن الكريم (إنّ العهد الجديد يحثّ بشكل جوهري على السلوك المستقيم، ويدعو للتقيد بالوصايا، معتمداً على أن الوجود التام للعقيدة يقوم فقط على كونها مقبولة منطقياً وبشكل معقول من قبل الأحاسيس الإنسانية، وهذا ما كان وما زال هو الضعف المتأصّل في العهد الجديد. بينما نجد القرآن الكريم لا يحثّ فقط، بل يأمر!

(فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه ز او جاء معه ملك إنما انت نذير والله على كل شيء وكيل) [هود: 12]

(ثم جعلنك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون) [الجاثية: 18]

منذ اللحظة التي يتعلم فيها المسلم عقائده الدينية، ودخول العقيدة قلبه، فهو حتماً سيتبع طرق الله، أو ينتظر العقوبة، وبالتأكيد ليس لديه خيار آخر، إنه لا يستطيع إخفاء علامات الإيمان التي تبينت له، فالقرآن الكريم يؤكّد بأنّ نصيبه من العذاب سيكون أشد من نصيب الذين لم يُتبين لهم الهدى. إن القرآن الكريم يحث ويأمر باستمرار بالشكل الملائم والهادف.

في الوقت ذاته الذي تنزل فيه القرآن الكريم، كان العهد الجديد قد ضعف بشكل واضح وجلي في مواجهة الفساد، لذا كانت الحاجة إلى القرآن الكريم في ذلك الوقت أمراً ضرورياً ومستعجلًا. قد يقول المسلم لنفسه الآن: إن إيمانه قد جاء بعد فترة طويلة من قرع الجرس، أي في وقت متأخر، وبالتالي فهو يُدرك بأنه أهدر الكثير من الوقت، فيشحن هذا المسلم نفسه وبشكل كبير بإحساس المثابرة والتصميم، إن هذا ما يقوم به الأصوليون

ما يجب أن يقوموا به، وفقاً لنهج آيات القرآن الكريم ذاتها.

يزوّد القرآن الكريم المسلمين بكلّ القواعد لإبقائهم على جادة الصواب في كلّ جوانب الحياة اليومية، فيغطّي دقائق الأمور، كتحريم هدر الأموال غير المثمر بحثاً عن الخيلاء والتكبر، وتحريم الرشوة في السعي لتحقيق المكاسب:

(والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) [الفرقان: 67]

(ولا تاكلوا امولكم بينكم بالبطل وتدلوا بها إلى الحكام لتاكلوا فريقا من امول الناس بالإثم وانتم تعلمون) [البقرة: 188]

فالقرآن الكريم يُعلّم المسلم أين وكيف يجب أن تُنفق النقود وتُستخدم: (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الأخر والملئكة والكتب والنبين وءاتى المال على حبه ذوى القربى واليتمى والمسكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلوة وءاتى الزكوة....) [البقرة: 177]

وكذلك يصرّ القرآن على المسؤولية التعاقديّة: (والموفون بعهدهم إذا عهدوا والصبرين فى الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) [البقرة: 177]

في كل آيات القرآن الكريم نتلمس فروضاً ونجد محرّمات، فلا شيء على الإطلاق، تُرك غامضاً أو لا جواب له، إنه في الوقت نفسه تخاله كتاب قانون عام في المبادئ الأخلاقية للبشر، ثم تراه يخصص إلى أن يمس كلّ مظهر من مظاهر التجربة الإنسانية، يتضمّن السياسة، والاقتصاد، والسلوك الأخلاقي، والنظافة الشخصية، والعلاقات العائلية، والوراثة، والوصية، والاحترام، وقوة العقيدة، والصدقات، وتنظيم الربح التجاري، وأهمية الصلاة، والإيمان بالإله الواحد، وعلم الاجتماع الديني، والمساواة بين البشر. اطرح أية فكرة أو مسألة، وسوف تجد فيه، ليس فقط ذكراً لهذه المسألة، بل ستجد بحثاً كاملًا، بليغاً في إيجازه، واضحاً بلا لبس، مؤثراً في نصحه وتوجيهه!

المسلم المؤمن، أو الذي يحسب نفسه كذلك، أو الذي يجاهد كي يكون مسلماً، لا

يستطيع إلا أن يتقيد بتعليمات القرآن الكريم، فهو لا يطلب من المسلم أو يحثّه بشكل عام ليقوم ببعض الأشياء، بل يوضّح له بالتفصيل ما عليه فعله، فلا وجود للقضايا الغائمة فيه. على سبيل المثال، نجد في العهد الجديد العبارة التالية: افعل للآخرين ما تحب أن يفعلوا لك. في هذه العبارة كثير من الغموض والتشويش، وهي في الأساس ترتكز على فرضية خاطئة، وهي أنّك أنت الشخص المنطقيّ والمستقيم، فإن كنت أنا لصّاً فسأقول: يحق لأي رجل أن يسرق مني أي شيء أملكه، فأنا قد سرقته من رجل آخر. وإن كنت تاجراً غنياً، فسأقول: لا أمانع أن يضع المنتج فائدة إضافية على السلع، لأنني ببساطة سأضيفها على سعر البيع للمستهلك، وسأقبض منه فائدة أكبر من تلك التي دفعتها، وبفائدة إضافية على التأخر عن الدفع. ووفقاً لشح النقود في ذلك الوقت، أو بسبب الحاجة الماسة إليها، أنا قد أربح عشرة أضعاف الفائدة التي ربحها مني المنتج! فهنا مكان للاستغلال الإنساني، ولتبرير أحد أكثر السمات المجحفة للتجارة المعاصرة، وهناك مكان للاستغلال في شتى مجالات المبادئ الأخلاقية أيضاً. وإنْ فكّر أحدنا سيتذكر العديد من الأمثلة.

ليس غرضي طرح نقد مضادّ للفقرة السابقة، فما ذكرته يؤكد فقط الاختلاف بين العهد الجديد والقرآن الكريم من حيث نظرتهما إلى السلوك البشري، فقد جاء القرآن في وقت رأى فيه ما يكفي من البراهين التي تثبت أنه ما من بشر يمكن هدايته إلى الصراط المستقيم بالموعظة الحسنة، فكان على المسلم أن يعلن خياره بالإيمان، وأن يكون سلوكه ملتزماً بهذا الإيمان، فتعاليم الإسلام تنظم وقته ساعة بساعة ويوماً بيوم.

إن ما سبق يقتضي تصور فرضية دينية تنص على أن السيد المسيح لم يتمكن من إتمام رسالته، وأن الله، إزاء هذا الفشل، رأى ضرورة إرسال آخر الأنبياء وتنزيل العهد الأخير) القرآن الكريم (، إن قضية (الفشل) يجب أن تُفهم على أنها الفشل المتوقّع للمسيحية على المدى البعيد. وبالتأكيد ليس هناك كتاب أعظم قدرة، ولا قوة أكبر من القرآن الكريم كمحاولة أخيرة من لله في نشر تعاليمه المباشرة والبسيطة. وهذا الكتاب الكريم بقدر ما هو تجسيد للإيمان بالعقيدة الإسلامية، هو تحديد للطريقة التي يجب على المسلم أن يعيش حياته وفقاً لها، والمسلم الذي يتبع هذه الطريقة في الحياة سوف يكون إنساناً

سعيداً، وعندها لن يكون بإمكان أي شيء من الأشياء التي فرضت عليه أو لم تفرض، أن يسلبه هذه السعادة!

الحزن، الانحطاط، الفوضوية الاجتماعية والسياسية، كلها تحدث عندما يتم تجاوز قوانين الحياة الإسلامية، ذلك هو الوجه الآخر للعملة، وهو ما يريد الأصوليون الإسلاميون تفاديه. إن القوى التي تناهض طريقة الحياة الإسلامية لا تعد ولا تحصى، وكبيرة جداً بقدر ما هي معقدة أيضاً، وتمثل العلمانية بحد ذاتها وجهات النظر، والمواقف، والقوانين التي تناقض الكتاب المقدّس، لذا فالمعركة ضدّ العلمانية لا يجب أن تهمل أو يتم تفاديها.

الملحد دائماً يقول: العلماني هو نقيض الروحي أو الديني، ويقول بأنّ الخطيئة هي في الواقع مسألة ضمير فقط، ثم يؤكّد بأنّه إن شرّع الإجهاض فالأمر سيُترك للضمير الروحي، في حالات معيّنة، تقرير القيام بعملية الإجهاض أم لا. على أية حال تبقى حقيقة هي أنّه تشريع ضدّ المبادئ الأخلاقية الدينية، فالملحد يضع مقياساً جديداً يجسد فكره فيه وذلك لإغراء شخص متدين ينص كتابه على أن الإجهاض هو أمر خاطئ. إن قوة القانون المدني تصبح إهانة لقانون الكتاب المقدس الذي هو الدين والإيمان، بل إن القانون المدني يضطهد وينتهك الإيمان والعقائد.

بمجرّد تقديم المثال التالي فإننا سنبرز المشاكل الهائلة التي تواجه الأصوليين الإسلاميين: كيف يمكن للإنسان أن يحمي الأرض التي يمتلكها؟ ناهيك عن التقدم إلى الأمام. وهل حالة الدفاع هي الموقف الوحيد المتوفر ضمن القانون المدني؟ وبالتالي فأيّ أسلوب من أساليب العمل القانونية يمكن أن تتبع لمنع الانتهاكات العقائدية؟ هل هي مسألة تتعلق بالسياسيين فقط؟ أو بعلماء الدين فقط؟ أو بمجموعة من علماء الدين والمحامين؟ ما أهمية الأولوية الفورية؟ ما أهمية المدى القريبة والبعيدة؟ كيف يمكن للشخص أن يقاوم الدعاية والإعلان المضاد في المجال السياسي؟ وكيف يمكن للشخص أن يستأصل تأثير تآكل العلمانية حتى قبل أن يتمكن من إيقافها؟

وهنا أكرّر الموقف الأساسي: إنه (العهد الأخير)، فلن يأتي أي نبي مرة أخرى

لإنقاذ البشرية، اليوم الآخر سيشهد المجيء الثاني للسيد المسيح، لكن ذلك سيكون يوم الحساب، وهذا ما يعرفه كلّ مسلم مؤمن، وهكذا تبدو الأصولية الإسلامية بأنها آخر فريق ديني بين الحاضر واليوم الآخر.

يقف الإسلام الآن حصناً متقدماً بمواجهة العلمانية، وهو على المدى البعيد وبكل الأحوال لن يستطيع البقاء كحصن بسيط، فيجب أن يؤكّد تأثيره بطريقة عصرية وعملية، وهذا ضروري لمنع تقدم العلمانية على حسابه، وعليه أن يكسب مجاله المفقود، وهو بحاجة ماسة لإعادة تأسيس مجاله الروحي على أرض منيعة ضد القوانين المعادية سواء كانت وطنية أم دولية.

الفصل الثالث

شرعية المقاومة

الأصولي الإسلامي لا يستطيع الاختيار: أعليه أن يستمر في السعي في سبيل الله أم لا؟ إنّ حماية الإيمان هي أمر حاسم، ولكنها ببساطة هنا إلزامية:

(يايها الذين ءامنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الأخرة فما متع الحيوة الدنيا فى الأخرة إلا قليل) [التوبة: 38]

(إلا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير) [التوبة: 39]

(لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الأخر ان يجهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين) [التوبة: 44]

(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) [التوبة: 51]

(قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا إنا معكم متربصون) [التوبة: 52]

تكفي هذه الآيات من القرآن الكريم لتجعل المرء يُقدِّر حقيقة أنّ الأصولي الإسلامي عليه فرض ديني وفقاً لأوامر الله عزَّ وجلّ. إنها لا تسمح له بالتساهل أو الحصول على استثناء ما من هذه الفريضة في مواجهة أيّ هجوم ضدّ الإسلام، ودون أن يخفي ذلك مهما كانت الظروف، فهو مرغم على الردّ ضدّ التدخلات المعادية.

تماماً كأيّ والد طبيعي لا يسمح بزعزعة الانضباط في بيته، تقريباً إذا صح المثل، فالله لا يسمح أن يذل دينه بالهجوم على النظام الذي نصت عليه آيات القرآن الكريم، والله

عزَّ وجل ، لا يسمح للإسلام أن يستكين، ومن ثم يُهاجم ويُمزَّق ويشوَّه من قبل البشر ، وكما سنرى لاحقاً، يدعو الله عزَّ وجلّ إلى القيام برد فعل مضاد يوازي الخطر المرتقب.

لاحظ أن الأمر موجه ويشير بشكل محدّد إلى الأشخاص الذين يمثلون حالة استثنائية وهم الذين يبغون الحياة الدنيا ويتعلّقون بها بشدّة: (اثاقلتم إلى الأرض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الأخرة) و هنا يعزو الله عزَّ وجلّ إلى أولئك الذين، بسبب اعتبارات مادية، يحاولون تفادي المشاركة في الجهاد الذي هو في سبيل الله. وبشكل واضح ومحدّد يطلب الله بأن يضع المؤمنون: (أموالهم وأنفسهم) تحت تصرّفه، وهذا ما جعل بعض الرأسماليين والملحدين، في مسعى للاحتفاظ بالثروة المادية بسبب الإلحاد، يزرعون بذور الفتنة لتقسيم الوحدة والوفاق الإسلامي فيما يتعلق بالجهاد في سبيل الله، ويقومون بذلك عبر تشويه الفرائض المنصوص عليها في القرآن الكريم، وبالدعاية التي يطلقونها حول عدم القراءة والتفسير الصحيح لآيات القرآن الكريم، إن كل ذلك يتم لأسباب عديدة، مضافاً إليها المصالح السياسية والاقتصادية.

الدعاية الصارخة لمعاداة الإسلام أصبحت واضحة جداً، لقد أساؤوا فهم قضية الجهاد أو الحرب المقدّسة، رغم بعض التحفّظات المعتدلة التي تقول بأنه ليس كلّ المسلمين يشتركون في (الراديكالية). هذا النوع من الإشارة إلى (الراديكالية) دائماً يعني بشكل ضمني أن (الراديكالية) متأصّلة في الفروض الإسلامية، وأن بعض المسلمين يختارون الالتزام بها، وبعضهم لا يلتزم. لقد اخترت بشكل محدّد تعبير (الفروض الإسلامية) لكي أكون قادراً في الوقت المناسب على تمييز كلمة (الواجبات) عن (الفروض)، في إشارة إلى ما ينص عليه القرآن الكريم.

إنه واقع مشهور بأن حرية الكلام وحرية أجهزة الإعلام، تُعطي الصحفي وأجهزة الإعلام حريّة التحيّز لطرف والإجحاف بحق طرف آخر، وبالمقابل فهناك حقّ أكبر بكثير لأيّ دين بأن لا يتم تشويه سمعته، وبشكل أكثر خصوصية، أن بألا يكرس الخطأ في الحكم عليه وعلى حقائقه الثابتة. وبالتالي فسوء فهم القرآن الكريم الواضح والموثق لا يمكن قبوله، فحقّ ملايين المسلمين لا يمكن، بأي شكل من الأشكال، أن يُهمل من أجل حرية الكلام

وحقوق أجهزة الإعلام، وهذا بشكل خاص يجب اعتباره عندما يقوم كاتب أو تقوم أجهزة الإعلام المعنية بالتركيز على الحقّ المتعلق بنخبة من الأشخاص، أو بمؤسسة خاصة أو حكومية.

إن الجهاد، رغم كونه النقطة الحاسمة والحساسة في المسألة، فإن انتقاده هو مدخل للهجوم على العقيدة، من أي جهة كان هذا النقد، وأياً كان الأسلوب أو الإجراء! لقد كان القرآن الكريم دقيقاً جداً بقدر ما هو إلهي فيما يتعلق بهذا المجال، لأنه تنبأ وتوقّع هجوماً ضدّ العقيدة. لذا، هو لا يترك مسألة حماية الإيمان بأيدي السياسيين والمشرّعين، وبكلمة أخرى هو لم ولا ولن يعتمد على أيّ من الضمانات الدستورية الممنوحة من قبل بعض الحكومات الديمقراطية، وذلك ليحافظ على وجوده المستمر كعقيدة! فالإيمان أسمى من أيّ مناورة سياسية، ومن أيّ حزب سياسي، وأسمى من أيّ حكومة.

إن نهج وسائل الإعلام الغربية في معاداة الإسلام، والادعاء الباطل بأنه معاد لليهودية، سببه أزمات الشرق الأوسط المستمرة، كما أن الادعاء بأن الإسلام معاد للمسيحية، وهو أمر غير وارد في القرآن الكريم، والحقيقة أن العكس هو الصحيح، بسبب نقد المسلمين للقوى الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

بتكرار الآيات التالية أريد تأكيد ما ذكرته، ولكي أفاجئكم بطبيعة الفحوى ذاتها لهذه الكلمات: (إن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصرى والصبئين من ءامن بالله واليوم الأخر وعمل صلحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [البقرة: 62] (قولوا ءامنا بالله وما انزل إلينا وما انزل إلى إبرهم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) [البقرة: 136]

في الظروف العادية لا يدعو القرآن الكريم إلى التسامح فقط، بل يُظهر الاحترام الإيجابي لكلّ المعتقدات التي تصرّح وتُقر بوجود إله واحد، وذلك مع نقده للاختلافات والتفسيرات المذهبية. وكل شخص يدعي غير ذلك، أو اختار ألا يقرأ أو يسمع، أو تعمد النية السيئة، فهو يحاول نشر التضليل والكذب.

إن الإسلام لا يتاجر بالحروب، ولا يشكّل تهديداً بالعنف ضدّ أيّ أمة أو شعب، كُن أحد مؤمنيه بالإله الواحد أو لا تكون. لا يمكننا أن نتّهم أي أصولي إسلامي بشنّ حرب لمجرّد التحيّز والتعصّب الديني، فهذا لا يمت للإسلام بصلة، وبالتالي من يقوم بذلك لا يمكن الحكم عليه بأنه أصولي إسلامي. وبهذا الخصوص يجب ألا نراوغ حول الأعمال التي تقوم بها حماس ولا أن نُسيء تفسيرها.

إنها قضية شائعة أن يكون النشطاء السياسيون موجودين بين كلّ فئات الشعوب، وأعمالهم تستند إلى الانتماء العرقي أو اللون أو المذهب، وهذا أمر واقع وحقيقي بين المسلمين بالإضافة إلى المسيحيين أيضاً. من الجدير بالذكر هنا أننا أبداً لا ندعو المنظمة القومية الأيرلندية (I.R.A) بأنها منظمة (أصولية كاثوليكية)، بينما ندعو على الدوام منظمة حماس بأنها منظمة (أصولية إسلامية)، وذلك في أجهزة الإعلام الغربية المؤيدة لإسرائيل. حماس حزب سياسي كغيره من الأحزاب، وسوف يتصرف على هذا النحو عندما يعارض أحد وجهة نظره السياسية أو يعارض الطريق الذي يسلكه، وبالتالي لا يمكن للمرء أن يحكم بأنّ وجهة النظر السياسية لحماس هي ناتج عن كونه حزباً أصولياً إسلامياً. وهذا يُشير ضمنا، وبشكل خاطئ، إلى أنّ الأصولية الإسلامية تغرس العنف غير المبرّر، وتجارة الحرب، وتُعلنهما جزءاً من فلسفتها الدينية. لهؤلاء الحق في انتقاد حماس، إلا أنهم على أية حال، لا يجب أن يستعملوا حماس ذريعة لتشويه سمعة الأصولية الإسلامية.

إنّ أمر الجهاد الإلهي في القرآن بسيط وواضح: (وقتلوا فى سبيل الله الذين يقتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [البقرة: 190] فالله لا يقبل شن الحرب حتى في سبيل الإسلام، بل يدعو إلى الاستعداد لحرب دفاعية، وحتى في حال الدفاع، فأمر الجهاد يدعو بوضوح إلى رد الهجوم، وربّما يتضمّن ذلك ضربات وقائية. على أية حال فآية الجهاد لا تسمح بمتابعة الهجوم بعد صد العدوان، في الظروف العادية الأمر أقرب إلى قانون الدفاع عن النّفس، كما هو معروف بشكل شائع في المحاكم العلمانية.

لكن الأمر الذي يدعو المؤمنين بأن يقاتلوا في سبيل الله من يقاتلونهم هو أمر صريح ولا مجال فيه للمساومة والمراوغة: (واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم

والفتنة اشد من القتل ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكفرين) [البقرة: 191]

إن قضية الكفر هي أمر ليس بالبسيط، ولا يمكننا القول إن سمحنا للمسلم بأن يبني مسجداً وأن يصلي بأنه يمتلك الحرية الدينية؛ بل بأنه غير مضطهد. فأيّ جالية أو أمة تنكر حق المسلم بالحصول على كرامته كمسلم، وعلى حقّ مساواة الفرص في كلّ المجالات، وعلى حقوق الإنسان الأساسية، فإنها تتصرف بإجحاف ضدّ جموع كل المؤمنين، وهو يعد تهجماً عليهم وتمييزاً طائفياً لهم كمسلمين، مع ما يتضمن ذلك من إساءة للإيمان بشكله العام.

من السذاجة القول إن هاجم أحدهم المسلمين فإنه لا يهاجم بذلك الإيمان، فلو هاجم أحدهم مسلماً لأنه مسلم فذلك يعني أنه يهاجم مصدر كونه مسلماً، ومصدر كونه مسلماً هو الإيمان، والإيمان هو رسالة القرآن. ولا يمكن للغربي أن يقول بأمانة بأنه هوجم فقط لأنه مجرد مسيحي، وبأنهم لم يهاجموه لأنه مؤمن بالعهد الجديد. إن الظلم المستمر لأيّ مجموعة دينية يصبح اضطهاد لتلك المجموعة، والطريق للنجاة من الاضطهاد يمكن أن يكون بالارتداد عن الدين، كاعتذار عن اعتناق دين مرفوض ومنبوذ، وبذلك يصبح المرتد خائناً لدينه، وبالتالي يجلب العار له ولعائلته، وربما الموت.

الظلم يخلق فوضى عاطفية وثقافية، ويسبب مخاوف للمرء ولعائلته، وهذا أمر ضارّ نفسياً، وهو واقع شديد الرفض من قبل روح كل مؤمن، لذلك فالأمر منطقياً يتطلب الدفاع عن النفس والعقيدة عبر الجهاد: (وما لكم لا تقتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدن الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) [النساء: 75]

إن الجهاد لا يدلّ على النزاع المسلّح بالضرورة، فالجهاد المقدّس يمكن أن يتضمّن أيّ شكل ملائم من أشكال الدفاع، وكما هو الوضع في أيّ حرب، هناك المفاوضات، والضغط السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والاحتجاجات والمقاطعات، والعصيان

المدني، وتشريعات الموت والاستشهاد، وغير ذلك من الأمور أو الآراء، والمحاولات دائما مستمرة لتحديد مجالات الدفاع المشروعة. على سبيل المثال: قد يكون رد فعل الدفاع ضدّ مرتكب الجريمة أو المهاجم الفعلي وليس ضدّ الجنود الذين يتصرّفون بناء على رغبات الجناة الفعليين، بهذا الشكل يحدّد محتوى الدفاع بأنه فعّال في تدمير الخطر من الجذور. لذا الفتوى بوجوب الجهاد هي طريقة عملية وفعّالة لوقف نمو النزاعات، وهي إجراء إنساني لجذب الانتباه الدولي إلى الوجود الإسلامي، وإلى حد ما إلى التهديد الموجه ضدّ الإسلام.

وكما هو الحال مع أيّ قرار في أيّ محكمة، أحد أسباب معاقبة الجاني هي ردع الآخرين من ارتكاب الجرائم المماثلة، هذا يؤكّد ثانية بأنّ الأصوليين الإسلاميين ليسوا تجار حرب، بل على العكس فهم يسعون بجهد لتفادي نزاع إنساني واسع النطاق، حتى وهم يدافعون عن إيمانهم.

إن الدفاع الفعلي العنيف ليس بالضرورة هو الوسيلة الأخيرة، فالضربة يمكن أن تكون وقائية، وفي كلا الحالين المسألة يجب أن تحكمها الظروف الخاصة بكل حال. لذا أياً كان ما ذكرناه فإنه يعكس وسائل دفاع متكافئة، ليس فقط مع طبيعة ودرجة الهجوم، بل أيضاً تكون حدود الدفاع متكافئة مع حدود الجرم، إذا كان الهجوم ذا طبيعة عنيفة جسدياً على الحياة أو الأملاك، ويسبّب الاضطرابات، عندها فإن قوة الرد الملائمة ستكون مبرّرة. هذا هو القانون الطبيعي لأيّ بلد، ناهيك عن تعاليم وفروض السلطة الأعلى المتمثلة بالله عزَّ وجلّ، وعلينا أن نلاحظ أن من مثل هذه المصادر الدينية، فإنه يتم استنباط بعض المبادئ اليومية والقوانين العامة المعتادة، وبالتأكيد فهي بذلك تعتمد أيضاً على القانون البسيط للبقاء.

وبالطريقة نفسها فهناك حالات يمكن فيها للمفاوضات أن تحلّ التعديات على الإيمان، حيث يمكن للسياسيين والضبّاط في السلطة أن يقوموا بالتدخّل. كذلك فالمحاكم العادية يمكن أيضاً استخدامها للإعانة والمساعدة إذا أمكن، وحتى المحاكم الدستورية يمكن استخدامها عندما يكون الوضع ملائماً. وعلى المرء في أية حال أن يأخذ بعين

الاعتبار أن الوصول إلى المحاكم ليس بالسهولة التي يعتقدها، الكلفة المالية لوحدها يمكن أن تُخرج المسألة بعيداً عن متناول بعض المجتمعات. علاوة على ذلك، فقيود الوقت يمكن أن تعمل ضد العلاج السريع للمسائل المستعصية. يضاف إلى ذلك أن المحاكم منتج التركيبة العلمانية، وتُطبّق قانون البلد الذي قد لا يكون متعاطفاً مع القضية.

إنّ الحاجة إلى الدخول إلى أجهزة الإعلام الغربية هو أحد وسائل الدفاع للاعتراض ولمقاومة الدعاية المعادية للإسلام، فهي وسائل قادرة على أن توضح للناس الطبيعة الحقيقية للأصولية الإسلامية. هناك بعض المواضيع ذات مدى بعيد، لكن الأصولية لا تستطيع تجاوز أو إهمال المدى القريب، وذلك وفقاً للأمر الإلهي الوارد في القرآن والذي ينص على أن كلّ هجوم ضدّ الإيمان يجب أن يواجه، (فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم* وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدون إلا على الظلمين) [البقرة:192- 193]

ونلاحظ أن القرآن الكريم يؤكّد ثانية على أنّ الصد يجب أن يتوقّف ما أن يتوقّف الهجوم، و يأمر أيضاً، وبشكل محدّد، بأن تتوقف مشاعر العداء التي يجب توفيرها لتوجه نحو الذين يزاولون الظلم. إن جوهر هذا الأمر الإلهي هو التوجيه بضرورة وجود معارضة ومقاومة فعالتين بوجه أي عدوان على الإيمان، كما لا يحق للمسلم وفقاً للأمر القرآني الزهو بالنصر، ولا ممارسة هيمنة المنتصر، ولا تحقير المهزوم، ولا بغض ولا عداوة.

وهنا أُذكّر بما ورد في الفصل الثالث من الكتاب الكنائسي في التوراة:

لكلّ شيء موسم،

ولكلّ غرض تحت السماء وقت،

وقت لتُولد، ووقت لتموت،

وقت للبذر، ووقت للحصاد,

وقت للمرض، ووقت للشفاء،

وقت للهدم، ووقت للبناء،

وقت للبكاء، ووقت للضحك،

وقت للندب، ووقت للرقص،

وقت لبناء الأحجار، ووقت لهدمها،

وقت لتعانق، ووقت لتفارق،

وقت لتكسب، ووقت لتخسر،

وقت لتمسك، ووقت لتدع،

وقت لتمزق، ووقت لترفو،

وقت للصمت، ووقت للكلام،

وقت للحبّ، ووقت للحقد،

وقت للحرب، ووقت للسلام.

كما نلاحظ فكل شيء وضده مقبول في التوراة حتى الحرب، لكن القرآن الكريم يحدّد الحرب، ويقيد تماماً هدفها بأنه لحماية الإيمان فقط. وهو لا يقبل الانتقام من أجل الانتقام، والآية السابقة تؤكد بأن الخير والشر هما أمر واقعي يواجهه كل شخص في بعض الفترات، وإنهما حقيقة يجب أن يُقدِّرها كلا المسلمين وغير المسلمين.

إن العلمانية، وليس الاختلافات الدينية، هي السبب الرئيسي للحرب. فحكومات العالم العلمانية تُظهر تفضيلًا مفرطاً لقضية دينية أو إقليمية بما يناسب مطامعها وحاجاتها الاقتصادية في ذلك الوقت، أو حيث تريد أن تُطفئ عواطف مجموعة أو طائفة دينية معينة ضمن حدودها الخاصة، طائفة ليس لها نفوذ اقتصادي أو سياسي ضمن تلك الحدود.

القوى المضطهِدة تحارب مُعزّزة بالمال، والأسلحة، والتقنية، والتجسس، والدعاية، لذلك فهي واثقة جداً بقوّتها لدرجة أنها تصبح عنيدة وغير قابلة للإقناع. فتكون النتيجة كفاحاً طويلاًومريراً بين المضطهِد والمضطهَد. وفقاً لأسلحة ووسائل المضطهِدين فصراع كهذا لا يمكن أن يُحلّ إلا بالمفاوضات أو بانتصار المضطهِدين، وعندما تتوقف الممارسات المفرطة للمضطهِد بالمفاوضات أو بغيرها يحل السلام.

وفي حين نجد أن الحكومات العلمانية لا تهتمّ بالمبادئ الأخلاقية للقضية التي يساندونها، فالقرآن يشدد على مسألة حماية الدين والإيمان، ولهذه الحماية دور أساسي فهي تعني الحفاظ على الدين والإيمان واستمراريتهما، لذلك فالجهاد يهدف إلى حماية وبالتالي تأكيد استمرارية الإيمان.

وبغض النظر عن الأمر القرآني الإلهي المحدد، فشعور الإنسان بأنه يجب حماية إيمانه هو أمر رائع، وبالتالي فمن المنطقيّ قبول فكرة أن المؤمنين، الصادقين في إيمانهم، سوف يرتقون بشكل طبيعي، إن لم يكن بشكل غريزي، إلى درجة تُجبرهم على الدفاع عن إيمانهم، إنها لردّة فعل عاطفية وثقافية متأصّلة، أو يجب أن تكون متأصّلة في كلّ واحد منا، بأنّه علينا أن نهيّئ ونعد العدة للنهوض في وجه أي هجوم على المعتقدات التي نؤمن بها.

إن الغربيين وغيرهم من المنتقصين والمبغضين للإسلام يسعون إلى تقويض التعاليم القرآنية ذاتها بجعلهم قضية الجهاد موضع جدل. وبدلاً من إزالة ووقف الأسباب المؤدية للسخط في العالم الإسلامي، يسمح الغرب بل ويجاهر بسيناريو للنزاع مع الإسلام، ومن ثمّ يقوم بتوبيخ المسلمين على ردّة فعلهم ومقاومتهم لهذا التهديد. الوضع ببساطة: أضربك، وبالمقابل تضربني للدفاع عن نفسك، بعد ذلك أنتقدك لضربك إياي. قد يبدو الأمر غير منطقي ومضحك، لكن ذلك بالضبط ما يحدث. على أية حال، الانتقاد يُدار ويعالج بأسلوب ومراوغة مقنعين بدرجة عالية. فهم إمّا أنهم ينكرون أنهم بدؤوا الضرب، أو أنهم يقدمون بعض الأسباب الجوهرية لتبرير ضربهم لك، وبعد ذلك يصفون الضربة الدفاعية بأنها هجوم. يبرزون هذا الهجوم في أجهزة الإعلام، وبإلحاح يقدمون وجهة نظرهم للمشاهدين

في العالم إلى أن يتم غسل أدمغتهم وإبعادهم كل البعد عن مجرد التفكير بأن ما يقدمونه هو محض افتراء وخداع، وبالنتيجة فهم يولّدون مشاعر الكراهية والعداء للإسلام، ويلي ذلك الحقد عليه. هذه الأشياء معروفة جيداً بالنسبة للأصوليين الإسلاميين، ولكنها ليست معروفة تماماً من قبل كلّ المسلمين وغير المسلمين.

إن التمييز العنصري لا يستثنى أحداً من تقييمه، فلمدة طويلة كانت اليهودية والمسيحية بشكل جوهري ديناً للبيض، حتى انطلقت البعثات التبشيرية الإنجيلية إلى أفريقيا وغيرها، ومع ذلك فالرجل الأبيض هو من كان يجلب دينه إلى الكفرة. عندما كان نظام التفرقة العنصرية سائداً في جنوب أفريقيا كانت هي وإسرائيل حلفاء مقرّبين، بينما كان اليهود يتمتعون بامتيازات البيض في جنوب أفريقيا لم يحصل مسلمو الشرق الأوسط على ذلك الحق، ربما الخبرة في مجال التسليح هي التي منحت إسرائيل تلك المنزلة.

إن لون البشرة ليس العامل الحاسم في تقييم المرء، فالبريطانيون مشهورون بإخضاعهم الشعوب الملونة، وحبهم للسيطرة على الأمم المنعزلة، وأمريكا لديها تاريخ عريق ومستمر في التمييز العرقي والعبودية. ونحن لا نستطيع غرس لائحة حقوق الإنسان بقلب كلّ شخص، فالاضطهاد العرقي أو التمييز من قبل رجال الحكومة أو غيرهم لا يمكن السيطرة عليه بسهولة. في الحقيقة هؤلاء الأشخاص في قمة السلطة، وهم في موضع التحكم التام في الوسائل التي تبرر اضطهادهم، ولديهم أيضا وسائل عديدة للتأثير على الكوادر التي تديرها لإطلاق العنان لهذا الاضطهاد عملياً تحت العديد من المسميات. من المفيد ملاحظة أنّ البريطانيين كانوا راضين جدا أن يكون لديهم مستعمرات فيما وراء البحار، يعيش فيها الهنود والمسلمون في وضع التبعية، ومع ذلك فإلى يومنا هذا لدى الكثير من الإنكليز صعوبة في الاشتراك بمنزلة المواطنة بالمساواة مع الهندي أو المسلم في لندن.

القوى الغربية تستمتع باستثمارات الشرق الأوسط المسلم، ولكنهم ينزعجون لمجرد التفكير بانتشار الإسلام ضمن حدودهم، فهم يستاؤون من انتشار داخلي لدين أجنبي فعال ومثير للإعجاب، الحكومات الغربية كانت داعية لحقوق الطوائف في الشرق، رغم أنّها

عانت من بعض الحوادث السيئة معها، لكن في الغرب ليس مسموحاً بتواجد مؤثر للذين مازالوا يرونهم شرقيين. إذ في الحقيقة أنّ الإسلام هو شرق أوسطي كما هي اليهودية والمسيحية.

عادة يكون التمييز العنصري أعمى أمام ما يتعلق بالحس البسيط والعام وتقدير الحقائق، ففي هذه البقعة الجغرافية الصغيرة من الأرض، أولا كان هناك اليهودية، ثمّ المسيحية وبعد ذلك الإسلام، اليهودية واليهود ينتشرون في كافة أنحاء العالم، المسيحية والمسيحيون ينتشرون في كافة أنحاء العالم، وبالتأكيد الإسلام والمسلمون سينتشرون وسيواصلون الانتشار عبر الكرة الأرضية. إن الشرق الأوسط ليس هو منتصف الشرق ولا هو منتصف الغرب أو الشمال أو الجنوب، هو ببساطة مركز الأرض ذاته غير القابل للقسمة من حيث الإيمان.

إن لم تكن إرادة الله هي التي ولدت الأديان الرئيسية المتعاقبة في هذه المنطقة، إن لم يكن ظهور الأنبياء الفريدين في قدرهم في الشرق الأوسط هو من إرادة الله عزّ وجلّ فمن المؤكد، حتى على أسس فكرية أو ملحدة، أن ما يجب أن يُذهل الخيال هو أن ثلاثة من تلك الديانات الرئيسية والعالمية قد نبعت من مصدر جغرافي واحد، وتلك التي نبعت من الصحراء كان لها في الماضي، وبالتأكيد في الوقت الراهن، تدفق لا يمكن إيقافه إلى كافة أنحاء العالم، الإسلام هو ذلك الاندفاع الجديد، مجرد التخيّل بأنّه يمكن أن يتوقّف هو تخيل ساذج، والتخيّل بأنّه يمكن أن يُستأصل بشكل أو بآخر هو تخيل تافه.

القمع السياسي دائما يُهزَم، وكذلك من الناحية التاريخية الظلم الديني أيضاً يُهزم، وكلما كان الظلم أعظم كلما أصبحت المقاومة ضده أكثر حدّة، فالظلم بطريقة ما، مفيد لنمو الإيمان. إضافة إلى ذلك يمكن أن يَحلّ الرضا الروحي وفي هذا الرضا هناك فرصة أفضل للعلمانية لزرع بذور الفتنة في الإيمان، فمن دون قوة بل بالروتين البسيط وبتخدير روحي محدد الرضا يقنع المؤمنون بإهمال الإيمان. فيأتي الظلم كجرس لإيقاظهم وإعادتهم إلى وعيهم الديني الخاص، فالظلم أحد بواعث الإحياء الديني. عندما يبدأ الظلم ويستشري يؤدي إلى (الراديكالية)، وهذه الراديكالية تنبع من الخوف النفسي الحالّ مع

كون المعتقدات الشخصية أو الطائفة الدينية أو الاقتصادية أو السياسية، وامتيازاتها أو طموحاتها معرّضة للخطر، إنه السبيل الأخير الفعلي، أو السبيل الأخير المحسوس. وضمن هذه الحالة العقلية تعد الشهادة أمراً ضرورياً للقضية، وضمنها بدأت العمليات الاستشهادية، فالمؤمنون مستعدّون للموت من أجل القضية.

إن التأثير التي تمتلكه هذه (الراديكالية) على غير الراديكاليين عميق جداً، فلا يوجد هناك أي مسلم يمكن أن يقول في ذاته، بأنّه غير متأثّر عاطفياً بالراديكاليين، فهو إن كان لا يستطيع قبول قتل الناس المدعوين بالأبرياء، (أقول المدعوين، لأن البراءة المجزومة لهؤلاء الناس موضع تساؤل)، فعليه إذاً أن يحترم روح الراديكالي. إن الوصول إلى الحلول السلمية بسرعة ستسبب لغير الراديكالي وخزاً في صميم ضميره الديني، وستكون النتيجة تفكيره الصائب والعميق في مشاعره الدينية، وسيتنبه لكل ما يتصدى لإيمانه، هذا التنبيه سيحثّ قناعته الذاتية إلى القيام بردود فعل إيجابية نحو الإيمان، سيوقظه من نومه الأزلي، وسينعكس ذلك وعياً كبيراً لهذا الإيمان المهدد. وفي الحقيقة لقد حدَّث بذلك القرآن الكريم، وهو ما يجري تماماً في وقتنا الراهن. لذا فالظلم يحفّز ويأجّج المشاعر الدينية بدلاً من قمعها، وهذا ينطبق بدرجة أكبر على المسلم لأن القرآن الكريم يأمره بمقاومة الظلم، فهو لا يستطيع إدارة الخدّ الآخر، وهو لا يستطيع الغفران لشخص سبع مرات ثم سبعاً ثم سبعاً، لا يمكن ذلك عندما يحدث تحدي وتهديد عقيدة الإيمان. إذاً فالظلم بأيّ أسلوب أو شكل، ومهما تنكّر، فهو يحرض على الجهاد.

أساءت أجهزة الإعلام الغربية فهم الجهاد وأساءت تصويره، واستخدمت الدعاية ضدّ الأصولية للتفرقة بين المسلم والمسلم، وكان ضمن أهداف هذه الدعاية أولئك المسلمون الخامدون في مناخهم السياسي القاسي أو البؤس الاقتصادي، فلوحت لهم بالنشاط الاقتصادي والثروة بدلًا من الحيرة والخوف والشكّ بمستقبلهم السياسي والاقتصادي، وراحوا ينسجون لهم بسهولة نظريات جديدة وفلسفات دينية مستندة على تفكيرهم المتحيّز، وتم قبولها بامتنان وسهولة، مع أن تلك النظريات قد نفت الأمر المطلق والحاسم في القرآن الكريم بالجهاد، ولم تحاول أن تخفف من ذلك الأمر بل شجبته في الواقع.

رغم ذلك يتعامل القرآن بشكل واضح مع أولئك الذين يرغبون في تفادي الأمر الإلهي بالجهاد لحماية الإيمان، فليس هناك أي شكّ حول حقيقة هذا الأمر، وأيّ تفسير يبحث عن تحريف وتخفيف للأمر القرآني المباشر من أجل تحسين الصورة في المحفل الدولي هو بعيد كل البعد عن الإيمان. كما أن الهرب من تنفيذ هذا الواجب يمكن أيضا أن نرده إلى الأنانية، أو عدم الرغبة بالمساهمة المالية بالأمر، لذا نجد أن التبريرات والتفسيرات الجديدة مرحب بها بشدة من قبل أولئك الذين يتجنّبون مسؤولياتهم، وأياً كانت الحال، فهؤلاء أصلاًعلى نقيض مع عقائد القرآن الكريم.

ما هي قيمة المسلم إن هو لم يقم بما هو ضروري لحماية إيمانه من التفسيرات البديلة ومن الاضطهاد؟ ما هي قيمة المسلم إن هو لم يقم بما هو ضروري وملائم لمقاومة الظلم الذي يتعرض له إخوته في الإيمان؟

إنجيل ماثيو[1] يقرر بأنه: (يجب ألا يكون شروط في تنفيذ الأمر الديني)- / 17( )24. وفيه ورد: (ما الذي ربحه الإنسان إن كسب العالم بأسره وخسر روحه الخاصة)-)17 / 26(. وما الذي سيكسبه المسلم إن كان سيكسب العالم بأسره ويفقد روحه الخاصة؟ القرآن يطلب تماماً الالتزام بالأمر نفسه، والمسلمون بشكل خاص يجب أن ينتبهوا إلى هذا الأمر لأنهم يعَدون السيد المسيح نبياً من أولي العزم. إنّ أوامر القرآن هي كلمات الله، بينما كلمات النبيصلى الله عليه وسلم قد تكون قابلة للتفسير طبقاً للنزوات أو الأهواء، وكلمات الله ليست كذلك.

الجهل هو أحد أسباب الشك في الدين لدى المسلمين، والتعليم الصحيح هو العلاج لذلك، فالقراءة المتأنية للآيات المناسبة وشرح محتواها من وجهة نظر قانون الدفاع عن النّفس الشائع، ربما هي الفكرة الصادقة والمنطقيّة والأسهل لتعليم صحيح، والذي هو إلزامي أيضاً إذ أنه على الأتباع المخلصين القيام بذلك التعليم. مما يساعد على تصحيح تأثيرات الدعاية المضادّة، ويضع المسلمين على الطريق الصحيح لممارسة إيمانهم بكل ثقة فما من شكوك عند ذلك.

فرّق تسد هي فلسفة سياسية فعالة لتخريب المجموعات الدينية، وسواها، وبتشديد الدعاية الإعلامية ضدّ الجهاد، واقتراح أن من الواجب استنكار الجهاد أدبياً على الأقل، يريد اللوبي المعادي للجهاد أن يقسّم الطوائف الإسلامية، ويضعها الواحدة ضدّ الأخرى، ملوحاً بالمكافآت التي هي الدعم الغربي في كلّ المجالات لتحقيق الانتعاش الاقتصادي. في النهاية، نجد أن تحويل المسلمين إلى هذه الأهداف المادية هو تحويل إلى التفكير العلماني، والابتعاد كلياً عن الأهداف الدينية.

إن هذا الجهد لزعزعة وحدة الهدف لا يرعب الأصوليين، فهم يرون بأنه موجّه تماماً كفتنة ضد الإيمان، وهدفه التخلص من الجهاد، عندها يصبح إسقاط الحكومات الموجّهة علمانياً حاجة ملحة، وعلى درجة أكبر في عقول العناصر الراديكالية والأصوليين النشطين ثقافياً، لذا، لسوء حظ التجمعات المعادية للجهاد وللإسلام، فإنها كلما حاولت زعزعة وحدة المسلمين كانت تصب الزيت على نار الإيمان.

المجابهة العنيفة هي تجربة حزينة ومرّة لكلّ المعنيين، تلك حقيقة من المستحيل نكرانها، لكن اللوبي المعادي للجهاد يخفق في إدراك ذلك، فيساهم باستمرارية الحرب، فهو بالضرورة يخلق هيمنة المعتقدات الأصولية في الدول الإسلامية التي يريدها، وبالمقابل فإن الأصوليين، وبموقف مبرر تماماً، يعتقدون بأنّ السلام لن يسود إلا ضمن بيئة إسلامية كاملة، وهم لا يرغبون في ترك أي أثر ضمن أرضهم لجذور العلمانية الضارة، ليس من منطلق العداء بل من منطلق القلق الدفاعي!

لسوء الحظ أعطى التاريخ لحكومات الغرب حق التمتع بالعربدة في ظل العلمانية، فطوقوا بنجاح الكاثوليكية والبابا في الفاتيكان، وأزالوا النفوذ السياسي في وقتنا الراهن لهذا العملاق الديني العظيم، فعلى سبيل المثال، أدانت الفاتيكان التمييز العنصري والتفرقة العنصرية، لكنّها لم توجه أبداً أي استغاثة تنص عل مقاطعة دولية أو ما شابهها لرفع الظلم الذي يمارسه أتباعها، والاعتقاد بأنّ الأصولية الإسلامية ستستسلم إلى المصير نفسه هو أمر باطل، فهناك اختلاف واضح بين العهد الجديد والقرآن الكريم، وفي الحقيقة ما يفتقر إليه العهد الجديد في التوجيه للجهاد يمتلكه القرآن الكريم. العهد الجديد بتشبث

بمشكلة ولاء المؤمنين لرجال الدين، وقد طلب ذلك بكلمات منسوبة للسيد المسيح تبدو غير ملائمة موضوعياً، ولهذا فهناك معدل مرتفع لاحتمال الريبة في تفسيرها. السيد المسيح قال علينا أن: (نعطي ما لقيصر لقيصر، ونعطي ما لله لله)، بهذا القول يقصد العملة المعدنية الرومانية التي حملت صورة لرأس القيصر، فهل كان يقصد أنه يتوجب علينا دفع ضرائبنا فقط إلى رجال الدين، أم كان يعني أن علينا الارتباط بكافة القوانين والقواعد العلمانية، ولكننا مع ذلك مرتبطون بولاء روحي مكافئ مع الله. ولكن من غير الواضح مدى امتداد هذا الولاء الموازي، وكذلك فطريقة مقاومة التدخلات العلمانية بالإيمان ليست واضحة أيضاً. بالمقابل نجد أن القرآن الكريم ينزع من المؤمن أي ريبة أو شكّفسلطة الله هي الأعلى، والأصوليون يعرفون ذلك، إضافة إلى أنهم تعلّموا من أخطاء وضعف الفاتيكان الذي سمح لرجال الدين باغتصاب السلطة.

إن الوعي الإسلامي يمكن أن يصبح مصطلحاً دولياً شائعاً بين المسلمين، فقمع المسلمين حول العالم قد يجعلهم يقومون بأعمال ونشاطات وردود أفعال مضادة، والتي يبدو أنها حقاً، في وضعهم الراهن وفي حالتهم، متأخرة جداً. فمنذ الحرب العالمية الثانية ذكّر اليهود العالم بنجاح بقضية شتاتهم ، وطالبوا بالتعويض من خلال عقدة الذنب الدولية، وليس فقط من الألمان. أعتقد جازماً بأنّ المسلمين لديهم الحق بطلب التعويض نفسه.. إن كنا لن نحميهم بالأسلوب نفسه إذاً سيهتاجون للحصول على الحماية والاعتراف الدولي بالمسؤولية تجاه المسلمين واحترامهم، وهذا يجب أن يُضمن بالعمل الجاد وليس بالتطمينات الدبلوماسية والدستورية البسيطة. وسيكون من المفيد أنّ يتعلم الغرب القرآن بشكل جيّد وأن يفهم معنى الأصوليّة، فهذا ضروري لنفهم بدقة الحوافز التي تصيغ ما يُدرَج على أنه (راديكالي). فإن من يُعد إرهابياً بالنسبة لشخص ما، هو مقاتل حرية بالنسبة للآخرين.

حتى ضمن الفكر العلماني للغرب فهناك آثار للفكر الأصولي المسيحي، وعليهم أن يجلبوا هذا الجزء الأفضل إلى المقدمة. إن مبادرة دبلوماسية جديدة، تقام حول مائدة طعام إسلامية جيدة، يمكن أن تلبي حاجة المرء للطعام وللإنصاف الحق، فالأصولي ليس

لديه مشكلة بالإنصاف، لأنه متحصّن بالقرآن الكريم' وإذا انتهك ذلك الإنصاف عن طريق الجهل، فإن ما يحتاجه فقط هو اقتباس التصحيح من القرآن الكريم، بينما الغرب ليس بحاجة إلى أن يقتبس التصحيح من القانون الدولي.

القرآن الكريم يقدم النصيحة التالية للمؤمنين: (لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الأخر ان يجهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الأخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون) [التوبة: 44- 45]

يستمرّ القرآن بالأمر بأنه لا يوجد هناك أعذار في الحرب في سبيل الله فمن يختلق الأعذار أولئك هم الكفرة والذين في قلوبهم شك. ويتابع القرآن الكريم: (ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القعدين) [التوبة: 46] وكان المخلصون من المؤمنين يشيرون بأنّ مثل هؤلاء الأشخاص لا يستحقون أن يكونوا ضمن المجاهدين في سبيل الله. وهذا تفكيّر منطقي وصحيح في حالة كهذه، فهم سيسبّبون الفوضى وسينشرون الفتنة بين المخلصين. ويتابع القرآن الكريم: (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خللكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمعون لهم والله عليم بالظلمين) [التوبة: 47]

ثم يقول: (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكفرين) [التوبة : 49] أولئك الذي يطلبون الاستثناء هم كفرة، فلا يريدون أن يساهموا في القتال والجهاد في سبيل الله. ويصفهم القرآن الكريم بقوله: (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمنكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) [التوبة: 66] ويضيف في الحديث عنهم: (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلمهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والأخرة وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير) [التوبة: 74]

ثم يؤكّد القرآن الكريم بشكل محدّد الفتن السابقة للذين في قلوبهم ريبة، ويحذّر من الأعمال السيئة المستقبلية: (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كرهون) [التوبة: 48] وهنا علينا أن نلاحظ ونتمعن بالكلمات بشكل محدّد:

(وهم كارهون)، فالذين لا يؤمنون بالله لم يتركوا مسعاهم لتقويض وتخريب الإيمان، ولبذر بذور التفرقة والاستياء والفتنة، إنهم يواصلون القيام بذلك.

ويستمرّ القرآن الكريم في نصيحته وتحذيره: (فلا تعجبك امولهم ولا اولدهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كفرون * ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) [التوبة: 55 - 56]

تجاه التوجيهات القرآنية الواضحة تماماً، لا يوجد أي مسلم يمكنه بأيّة حالة عقلانية كان، أن يجادل بأنّ عليه حتما أن يقدم كلّ ما هو مطلوب لتزويد وتنمية العمل في سبيل الله، وهذا يعني ممارسة الوسائل الضرورية للدفاع عن الإيمان في أيّ مكان وزمان، فيجب على المسلم أن يضع نفسه وماله في خدمة الله عند الضرورة، وليس هناك استثناءات لهذا الأمر الإلهي، ما عدا أولئك الذين يعانون من الوهن أو المرض، أو الذين لا يملكون ما ينفقونه في سبيل الله، أولئك يرغبون في الجهاد ولكن لا يمكنهم تقديم خدماتهم في ذلك الوقت فهم مُعْفَوْنَ منها، يقول القرآن لكريم: (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا على الذين إذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون) [التوبة: 91 - 92] ويعد القرآن الكريم أن من يتقاعس عن الجهاد في سبيل الله هو آثم بشكل كبير لدرجة أنه يدعو المؤمنين بألا يحضروا جنازته: (ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فسقون) [التوبة: 84]

إنّ حماية الإيمان هي في الحقيقة مسألة إدراك شائع، رغم ذلك مع الأسف، فإن ما هو مفهوم ومنطقي ليس شائعاً بين الجميع بل تدركه الأقلية، فإن لم تجرِ حماية الإيمان من التشويه والفتنة فما الذي سيُترك لأطفال المؤمنين كي يتبعوه؟ ومن دون الأخلاقية الدينية كيف ستكون نوعية حياتهم؟ هذه هي معضلة المؤمن.

(انفروا خفافا وثقالا وجهدوا باملكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم

تعلمون) [التوبة:41] إن القضية العاجلة، المشدّد عليها في القرآن، والتي يجب النظر إليها كحقيقة في أوقاتنا الحالية، هي المعركة ضدّ الشرّ والكفر والنفاق ضمن الدين والإيمان. القرآن يشدّد على حقيقة أنّ الذين في قلوبهم ريبة وشك هم موجودون ضمن المجتمع، أولئك الذين قبلوا الإسلام لكنهم لا يزاولون الإيمان. والأسوأ من ذلك، هم عملاء للشرّ لأنّهم يجاهدون لنشر التعاليم المشوهة والمحرفة، ولنشر الشكوك بين المؤمنين. الأصوليون مدركون لهذه الحقيقة بحدّة وللتحذيرات الواردة في القرآن الكريم، لهذا السبب يرون أنه من الضروري مراقبة السياسيين والناس ذوي التأثير السلبي في المجتمع، والسياسات الحكومية والدينية يجب أن يجري تُفحصها بدقّة واستمرار لكشف أيّ انحراف عن العقائد الأساسية للإسلام، أو أية محاولة لتحول عنها.

المخرّبون والذين يثيرون الفتنة، ليس بالضرورة أن يأتوا من صفوف أولئك المدعوين لاتّباع الدين، بل يمكن أن يأتوا من صفوف المرشحين للقيادة، فبين الزعماء يوجد أولئك القادرون على الإرشاد وإلقاء المحاضرات، وهم يتحلون بالمراتب الأكاديمية والمؤهلات اللاهوتية، نجد أنهم قد وضعوا أنفسهم أو بدائل عنهم بين المؤمنين، وحصلوا على مناصب جديرة بالثقة وبالتالي قد يكونون معلّمين في فنون الفتنة والعصيان، وفي فنّ تقديم الشكوك والتلاعب بالمؤمنين بعيداً عن الحقيقة. وقد تحدث عنهم القرآن الكريم بقوله: (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن اردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكذبون) [التوبة: 107]

(ومن الناس من يقول ءامنا بالله وباليوم الأخر وما هم بمؤمنين * يخدعون الله والذين ءامنوا وما يخدعون إلا انفسهم وما يشعرون * فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون) [البقرة:8-9-10]

إنّ حماية الإيمان مسألة تتطلب اليقظة الثابتة في كلّ المجالات، تتطلّب الانتباه الشخصي لكلّ مؤمن، تتطلب قدراً من تقديم الجهد أو المال، فبذلك أمر القرآن الكريم وهو ما لا يمكن نكرانه، إنها قضية لا يستطيع المؤمن الهروب منها، لا الآن ولا في يوم الحساب.

الفصل الرابع

الوعي الإسلامي، خط الدفاع الأول

إنّ الخط الأول للدفاع والمقاومة هو الوعي الإسلامي، فمن الإيمان الشخصي الشامل للمؤمن فقط يمكن أن يتكون جيش فعّال وهائل من المؤمنين ليتم استخدامه في ميدان المعركة.

إن التقدير الثقافي والتقدير الروحي للإيمان يعكسهما الوعي الإسلامي، والأكثر من ذلك يتم في التفاعل المنسجم للشخص الطبيعي المؤمن مع الشخص المثقّف والروحي. عمليا، كلّ منهم يدعم ويطور الآخر، إلى أن يتحد كل المسلمين لهدف واحد وهو الامتثال للأوامر الإلهية في القرآن، عندها يصبح الإنسان قادراً على العيش في أسلوب حياة يحكمه القرآن الكريم، فيكتسب البصيرة المتزايدة، والإيمان المعمّق، والالتزام الشديد والثابت لحماية الإيمان.

الوعي الإسلامي يتأمّل ويتصوّر، بأنّه بالاشتراك النشط في مجال واسع، فإنه ليس من الضروري أن تكون حماية الإيمان أمراً مرهقاً، فالجهد هو غوث مبهج من الملل الوظيفي أو ضغط الحياة الاقتصادية. ذلك يتطلّب قراءة ومحادثة غنية بالمعلومات المفيدة، ولكنها مريحة، وكذلك الاندماج والوعي الاجتماعي. في بادئ الأمر الجهد يجب أن يكون واعاً، أن يكون مدروساً، مدعوماً بالبرامج المناسبة لتقسيم وقت وطاقة الشخص. رغم ذلك الوقت والعمل، وبالصلوات الإلزامية والطوعية التي تتخلله، كم سيصبح الوعي الإسلامي رائعاً وسهلًا. وبالتمسك برفقة المحافظين على التقاليد، والرجال والنساء المجرِّبين، مهمّة التعلّم، والاطلاع والاستمرار بالاطلاع سيكون كله مبعثاً للسرور والصفاء.

(والعصر * إن الإنسن لفى خسر * إلا الذين ءامنوا وعملوا الصلحت وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

إنها ليست إلا (مهمّة) محددة، حتى لا ينسى المسلمون أنّها أمر إلهي في القرآن الكريم، إنها ليست بالشيء الذي يمكن للمسلم اختياره، إنها أمر إلزامي، إن الإيمان القوي للمسلم مبني على أسس قويّة يستمدها من القرآن، إنه يمشي ويتقدّم بكل ثقة، يتعلّم ألا يرى العالم الخارجي المعقّد من خلال العيون الصفراوية، بل من خلال عيون الوعي الإسلامي. إنه قادر فوراً على التمييز بين ما هو صحيح وما هو خاطئ، وما هو صادق وما هو كاذب، وما هو الشيء الذي يهدده أو لا يهدده، وهل عليه أن يستسلم أم يقاوم، وما عليه أن يأكل وما عليه أن ينبذ، وما هو نظيف وما هو غير ذلك، وما الأعمال المحببة إلى الله، والأعمال غير المحببة، وما الذي يتحدّى الإيمان والذي لا يتحداه، وما هو الإغواء للشر أو الهداية للخير، وما هو العمل الحسن وما هو الاحتيال، وما هو التجاوز وما هو غير المتجاوز للحدود الدينية، والقائمة تستمرّ.

كم هي رائعة المعرفة هنا، إنها متوفرة بشكل مستمر في الإحساس الفطري، إنها مصدر موثوق وعميق ضمن نفسك، هذا هو الوعي الإسلامي، هذا هو الغرض القرآني، الذي يُنشد ليغرس ضمن الأحاسيس الإنسانية أسس الحياة الصحيحة للمؤمن. إنه يجعل هذه الأسس هي الحاكم أو المسيطر على أفكار المؤمنين وكلماتهم وأعمالهم. هذا هو الإسلام عملياً، هذا هو المؤمن عملياً.

معرفة القرآن يجب أن تُغرس في كافة الأحاسيس، من أحاسيس اللمس والذوق، إلى ملمس القرآن بالكفين، إلى إحساس البصر في القراءة، إلى صوت الصلاة. كلّ هذا سيخلق انسجاماً سيصبح ويبقى ثابتاً فيه ومعه.

مع ذلك فإن معرفة القرآن تصبح متداخلة مع قضية التفسير، فعلى الدوام يأتي من يدعي الفهم الكامل أكثر ممن سبقه، فتكرس الادعاءات، وتتواجد المدارس الفكرية المتنافسة الواحدة ضدّ الأخرى، وتساهم الطروحات العلمية بخلق أفكار وبصائر متغيّرة،

تنبثق عن المتعلّمين والمجدين، عن الفقراء والأغنياء. والمشكلة المتأصّلة في كل ذلك أنّنا نتحرّك بعيداً أكثر عن الحديث المباشر لأولئك الذين اتبعوا عن كثب خطوات وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم. فهل يمكننا اليوم، ونحن في وقت بعيدٍ عن ذلك الوقت، أن ننتقد ونعيد التفسير ثانية لشيء تم قبول صدقه وصحته تاريخياً ؟

أيّ فكرة أو أطروحة دراسية يمكن أن يتم الحكم عليها ومواجهتها من قبل وجهة النظر التقليدية، فإن كانت على خلاف مع وجهة النظر التقليدية، التي هي أقرب إلى فترة النبي صلى الله عليه وسلم، عندها فإن وجهة النظر الجديدة والمعاصرة تكون مشكوكاً فيها، ووجهات النظر المعاصرة لم تُصغ بالضرورة عن سوء قصد فربما صيغت عن اعتقاد وتفكّر صادق بأنّها هي وجهات النظر الصحيحة.

لا يزال الرجل يمكن أن يقول بأمانة بأنّه رأى شخصاً ما بشكل مؤكد يرتكب جرماً ما، رغم ذلك قد يكون مخطئاً، وهذا واقع تاريخي مُعترف به عالمياً من قبل المحاكم، وهو أيضاً أمر متعلق بالحس العام، فالقضايا الشخصية المخطئة يجب أن تُدقق، فهل المراقب لديه تحيز راسخ أم ضعيف ضدّ المتّهمين من ذوي العرق أو الجنس ذاته؟ هل لديه أو هو متحيز لاعتقادات محددة مُدركة مسبقاً حول شخصية أو طبيعة المتهم؟ هل هو متحيز لبعض الفرضيات المبالغ بها حول سلطاته الخاصة في المراقبة؟ هل كان متأثّراً برأي صديق أو جار مهتم بملاحظة شخصية المتهم ومراوغته وميوله. وبناء عليه: هل يقوم مباشرة بوضع اللوم على المتهم عند القيام بمخالفة ما لأنه سمع بأن المتهم قام بمخالفة كهذه؟ هل أجرى، المراقب، فحصه بين أصدقاء أم بين جمع من الناس، أم أن النتيجة التي حصل عليها هي أمر شائع؟ هل يعاني المراقب من مزاج عصبي؟ هل هو خائف من المجابهة إلى هذا المدى الذي أصبحت فيه قدراته على الملاحظة مشوّهة نتيجة الخوف أو الإثارة العقلية، والتي رافقت مراقبته؟ هل كانت تصوراته المسبقة هي نتيجة دراساته الأكاديمية العلمانية في علم النفس، أم في علم الاجتماع، أم في علم الإجرام؟

في فحص صلاحية التفكير الجديد والمعاصر على المرء أن يلاحظ بأنّ هناك الكثير جداً من الآراء والأسئلة التي يجب طرحها والتأمل فيها: لماذا يختار العالم أن يفحص بدقة

معينة بشكل خاص؟ هل هي مسألة سياسة؟ هل لديه نزعة نحو الدبلوماسية السياسية؟ هل لديه أصدقاء وشركاء في الميدان السياسي؟ هل يحاول أن يقلّل من أهمية الإقرارات المطلقة للقرآن الكريم؟ هل يحاول أن يخفف من شدّة الأوامر الإلهية؟ من أي خلفية اجتماعية أم علمية أم اقتصادية أتى العالِم؟ من يجذب إلى وجهات نظره؟ ماهي الخلفيات التي يأتي منها أتباعه؟ ما ردّة فعل السياسيين والحكومات؟ هل وجهات النظر مقبولة من قبل الأعداء والحاقدين التاريخيين؟ هل هو راسخ في الكتابة وفي النقاش المباشر معاً؟ هل هو مستعدّ لكي يتم استجوابه عن موضوعه فيما يتعلق بمجمل القرآن الكريم؟ ما نوعية حديثه المباشر؟ ما ميزات شخصيته؟ هل يميل إلى العصبية أحياناً؟ في أية ظروف يصبح عصبياً؟ ولماذا؟

مع أن كلّ هذا هو حقاً مضايقة غير ضرورية للإنسان عادة، فهو يواجه وجهات نظر جديدة من هنا وهناك، ويجهد نفسه بالتفسيرات المعاصرة للأمور والتي قد تناقض وجهة النظر التقليدية. والجواب على سؤال: (بمن يجب أن أؤمن؟)، هو بسيط جداً جداً، ما كان تقليدياً وأساسياً وكان حقيقياً وصحيحاً في زمانه كيف لا يكون حقيقياً وصحيحاً اليوم؟

أن تأتي بتفسيرات غير واضحة من معنى النصّ الأصلي، هو أن تنسب الشك والغموض لذلك النصّ، ومن يعمل ذلك فهو ينسب إلى الله عجزه عن القدرة على جعل نفسه مفهوماً. إذا قام المرء بتشويه المعنى الأصلي بشكل هادف لكلمات الله، وذلك لنشر وجهة نظر معينة تنتقص من ذلك المعنى الأصلي، فهو بالتأكيد لا ينسب إلى نفسه براعة ثقافية تجعله أعظم من ملايين البشر فحسب، بل ينسب إلى نفسه براعة أكبر من الله عزَّ وجلّ بحد ذاته، فهو يدّعي بأنّ لديه براعة أفضل من الله عزَّ وجلّ في تفسير كلمات الله عزَّ وجلّ أليس هذا هو الكفر بعينه؟

هل يمكن أن يجرؤ أحدهم على القول: (أنا مشارك بوضع القرآن، ولكن يحق له القول: أنا أفهمه طبقا لتفسيري الشخصي له أو طبقا لتفسير المدرسة الفكرية كذا وكذا)؟ المرء يجب أن يتمسك بحقيقة أنّ القرآن ليس مجرّد كتاب فلسفة يدرس كعمل أكاديمي، لكي يُقبل أو يرفض، أو لكي يقارن بالحصانة الثقافية ضدّ الفلسفات الأخرى وليس عملاً

للنجاح فقط في فصل أكاديمي، إنه كتاب مقدس، كالعهد القديم لليهود، والعهد الجديد للمسيحيين.

هذا هو الجوهر الذي يفتقده على ما يبدو العديد من المسلمين والكثير من الغرباء عن الإسلام، أو ربما هذا هو الجوهر الضروري الذي يخشاه هؤلاء المسلمون والغرباء، الخشية النابعة من الجبن المطلق في مواجهة الحقيقة الرفيعة والديناميكية، هذا الخوف الذي ينبع من ضعف في القدرة على امتلاك الإيمان بالأمر. ولخوفهم من أن يكون الأمر صحيحاً فيحاولون بشكل سري تعديل معنى الأمر ولكن بشكل زائف،وهم يعملون ذلك لأنهم يعتقدون بأنه قد يُنظر إليهم على أنّهم يمتثلون للأمر بينما في الحقيقة هم ليسوا كذلك.

إن كان هناك نادٍ له بعض المبادئ الراسخة، كيف يمكن لشخص أن ينتمي إلى هذا النادي وهو يقوم بتفسير مبادئ ذلك النادي لكي تناسب تفضيلاته وتحيزاته الخاصة؟ لمَ ينتمي إلى النادي إذاً؟

إن الانقسامات ضمن الإيمان الإسلامي تُضعف العزيمة الكليّة له، المعارضة لا تُنتج إيماناً أفضل أو طائفة أفضل، إنها لا تُنتج إلا منافسة معقلنة، إنها اختبار تنافسي للأعضاء، وتصبح كلعبة مفضلة بين أعضاء حزب سياسي. هنا تنشأ حالة سخيفة وخطرة اجتماعياً، تفرق بين الوالد والولد وتدمر السعادة الزوجية، إنها تفرق الأشخاص في المجتمع، وتجلب البؤس تقريبا إلى كافة الخصوم الذين ينتشون، ليس في التقوى والإيمان، بل في مجد أنانيتهم الخاصة، إنها حالة مثيرة للشفقة! (والذين سعو فى ءايتنا معجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم) [سبأ: 5] (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا إليك وما وصينا به إبرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب) [الشورى:13] (منيبين إليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) [الروم: 31-32]

لماذا إلى الآن عديمو الإيمان يسعون لكي يؤمنوا ولا يتبعون القوانين السائدة؟ يكون الأمر أكثر فهماً إذا فكرنا بمسألة انتظارهم ظهور قائد جديد ليُشكل حزباً جديداً مناسباً لمبادئهم! بالتأكيد عليهم أن ينتظروا نبياً آخر، إن كان سيأتي واحد كهذا، ولديه كتاب جديد! يجب أن يكون كتاباً يتبع ويساير اعتقاداتهم الخاصة المتقلبة! هل يخشى هؤلاء عديمو الإيمان من أن عدم إيمانهم سيحل لعنة الله عليهم؟ ذلك صحيح، هذا إن لم يكونوا مجرد كافرين مخرِّبين لا يخشون الله. لكن الأمانة الثقافية البسيطة تملي بأنّك لا تستطيع تحديد إيمانك بمجرد استعدادك للإيمان، فهو ليس إعلاناً في الصحيفة.، وهو ليس نادياً لكتب الأدب القصصي الذي يسمح لك بالاحتفاظ بقدر ما تشاء من كتب على أن تعيد البقيّة خلال أربعة عشر يوماً! (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلم والله لا يهدى القوم الظلمين * يريدون ليطفئوا نور الله بافوههم والله متم نوره ولو كره الكفرون) [الصف: 7 - 8] إنها مسألة التزام، من الالتزام الكلي إلى كل وجه من أوجه المفاهيم. تقبل أو ترفض، بشكل كامل. (والذين سعو فى ءايتنا معجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم) [سبأ: 5]

القرآن لم يُرسل فقط لفترة زمنية واحدة بل إلى الأبد، ومن يفهم اللغة العربية بشكل أفضل من أولئك الذين عاصروا الرسولصلى الله عليه وسلم والتابعين الذين تلوهم وعاشوا في تلك المنطقة، هؤلاء يعلمون بشكل أفضل عن كلّ تصريف وكلّ فرق دقيق في اللغة المتداولة!

(إنا جعلنه قرءنا عربيا لعلكم تعقلون) [الزخرف: 3]

(فإنما يسرنه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا) [مريم: 97] من غيرهم كان أقرب في ذلك الوقت إلى الرسولصلى الله عليه وسلم لكي يعلم ويشهد التجسيد الحقيقي للإيمان، أولئك الذين عاشوا آنذاك أم أولئك الذين يدرسون الآن؟ ألم يكن هناك رجال متعلّمين في ما كان اسمه آنذاك الوقت الراهن؟ هل الرجال المتعلّمون ولدوا مؤخراً فقط؟ هل كان على الله أن ينتظر هؤلاء الرجال المعاصرين الجدّد لكي يتعلموا قبل أن يُنزل القرآن؟ هل الله بحاجة لهؤلاء المفسرين في القرن العشرين؟

(بل هو ءايت بينت فى صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بئايتنا إلا الظلمون) [العنكبوت: 49]

(لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين * افمن اسس بنينه على تقوى من الله ورضون خير ام من اسس بنينه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظلمين * لا يزال بنينهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) [التوبة : 108-109 - 110]

ماذا سيستفيد المسلم إن كان يقلد طريقة لبس النبيصلى الله عليه وسلم وليس أعماله؟ ماذا سيستفيد إن هو لم يتبع نظام انضباط النبيصلى الله عليه وسلم؟ ماذا سيستفيد إن هو تخلى عن الجهاد لحماية الإيمان؟ ولم ينفذ ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم وما هو واضح تماماً ومدون بشكل مؤكد؟

(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخونهم هلم إلينا ولا ياتون الباس إلا قليلا* اشحة عليكم فإذا جاء الخوف رايتهم ينظرون إليك تدور اعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعملهم وكان ذلك على الله يسيرا * يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يات الأحزاب يودوا لو انهم بادون فى الأعراب يسئلون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قتلوا إلا قليلا * لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الأخر وذكر الله كثيرا) [الأحزاب:18-21]

(والذين سعوا فى ءايتنا معجزين اولئك اصحب الجحيم) [الحج: 51]

ماذا يستفيد أيّ مسلم إذا اتبع وجهات نظر مثل هؤلاء المتهجمين على الدين وتفسيراتهم؟ قد يكسب أصدقاء جدد وبعض الميزات الاقتصادية، قد يُعَدُّ عصرياً في حلقاتهم، وفي حلقات أعداء الإيمان والمنتقصين منه. قد يحصل على عمل وعلى فائدة مالية، قد يكتسب فوائد اجتماعية وعائلية إذا تطلع إلى تلك الفوائد الاقتصادية. إن التعاليم المبتكرة حديثاً قد تكون ملبية لطبيعته الجبانة، وقد لا يتطلب الأمر منه أن يناضل

في سبيل الله بالحماسة التي طالبه فيها القرآن عبر أوامره الواضحة الجلية، وقد يحصل على نوع من الاستثناء يُقره له التفسير الحديث، رغم أن كلّ هذه الحوافز المتاحة لأولئك الملحدين أو الذين يعتقدون بأنّ الله لا يستطيع رؤية زيفه ونفاقه، نقول:

(واسروا قولكم او اجهروا به إنه عليم بذات الصدور) [الملك:13]

(ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) [الزخرف:80]

المرء لا يستطيع المساومة في الأوامر الإلهية لتكون وفقاً لأهوائه أو نظامه أو جدول أعماله أو متطلباته الاجتماعية أو السياسية، ويرد مثال بسيط يتعلق بالصلاة: هناك صلوات إلزامية لا يمكن تفاديها، فلا مكان للمساومة في هذا النطاق، والمسلم إذا لم يؤدها يجب أن يعترف ببساطة بأنّه مذنب وأنه تجاوز فرضاً إلهياً، لا يمكنه أن يرفع يديه إلى السماء ويقول: حسناً أنا لا أستطيع الطاعة، بل يجب عليه أن يسترخي ويتأمل ويقوم بعملية محاسبة ذاتية! أيّة صلاة بشكل خاص لا يؤديها على الأغلب؟ ولماذا؟ هل هو دائماً مشغول بشيء ما في ذلك الوقت؟ ما الأهمية الكبيرة لذلك الشيء الذي يجعل الصلاة في المرتبة الثانية؟ بالتأكيد سوف يعيد جدولة أوقاته آنذاك. عليه ألا يُهمل القرآن الكريم، عليه أن يخطط إعادة جدولة أوقاته بشكل ملائم لإطاعة الأوامر الإلهية والتوافق معها.

إن عدم القيام بذلك يؤدي إلى تأنيب بسيط وفعّال للذات، بينما القيام به لا يسبّب أي إرباك للأمور الدنيوية التي قد يعدها المسلم آنذاك مهمة. إن تحديد وقت للمساهمة النشيطة والفعالة في الأمور المتعلقة بالأمور الدينية، سواء كانت الصلاة، أو الدعوة، أو العمل الخيري، أو غير ذلك، تحسّن مهارات المسلم التنظيمية. ولذلك يكون لديه قدرة أكبر على إدارة الوقت، والمراحل الأولية قد تخلق بعض الضغوط، لكنها تختفي مع مرور الوقت. والثقة بالنّفس التي تتولد لديه لأنه عاد إلى رشده سوف تحسّن قدرته الثقافية وكفاءته الشخصية، الأعمال الروتينية اليومية، التي عادة تكون مضجرة ومضيعة للوقت، سيتم التعامل معها بدقة وبشكل حاسم، وسيجد المؤمن أن سبب كون تلك الأعمال الروتينية مسببة للإجهاد والغضب هو أمر بسيط وسهل. العصبية، التي كانت في الماضي ترافقه

إلى بيته، سوف تختفي، سيصل إلى بيته مبتسماً ليكون مع عائلته في الوقت المناسب، سيكون لديه تنظيم جيد ومبهج للوقت، وطاقة ثابتة لتنمية الذات الإسلامية الجيدة له ولأسرته. وهذا فقط البداية، فواجباته لما بعد حدود العائلة ستسير بأكمل وجه، إن حماية الذين بشرهم بالدين تتطلب منه أن يشبّع الوعي الإيماني والديني لديهم ولدى الآخرين من حوله، يجب أن يحميهم وفي الوقت نفسه عليهم أن يحموه. (والمؤمنون والمؤمنت بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) [التوبة: 71]

الصورة التي يعكسها المسلم، في كلّ أساليب تعاملاته مع أيّ كان، هي تقدير لطيبة الإيمان، فالإنسان الذي يعلن الإيمان لكنه لا يطبقه يدمر الإيمان، إنه لا يجلب النقد فقط لنفسه بل لكل أخوته في الإيمان أيضاً. إنه يعطي انطباعاً لكلّ شخص دون استثناء بأن ذلك الدين ليس جديراً بالثقة. ومع أنها فرضية خاطئة، فبالحقيقة نجد أولئك المنتقدين والمنافقين يسعون إلى مهاجمة الدين والافتراء عليه، مستخدمين السلوك الخاطئ لبعض المسلمين لتشويه سمعة المسلمين جميعهم، ولإذلال الدين وتدميره. لماذا يجب على المرء أن يعاقب هؤلاء المتهجمين؟ فربّما كان نقدهم صحيحاً! قم بعملية دراسة وأجري عملية الإصلاح الضرورية، اشعر بالنقد واسعَ لتصحيح الصفات الخاطئة في شخصيتك، دع نتيجة النقد تكون إيجابية: (إيجابية ضمن سياق القرآن الكريم). ما الذي على المسلم أن يقدّره؟ هو أنّه ولد على دين فيه الكثير من التوجيه والإرشاد، ولكن ما مصير أولئك الذين لا يمتلكون مثل هذا المرشد؟ حولهم يعم الفساد في العالم، وتعم الجريمة والحزن، المسلم يجب عليه أن يكون ممتناً ليس لأنه حظي بالفرصة، بل بأفضل هدية لا يمكن لأي مقياس أن يقيسها! رغم حقيقة حصوله على هذه الهدية العظيمة من الله، إلا أنه سوف يكافأ أيضاً فيما بعد بشكل أكبر بكثير! (وعد الله المؤمنين والمؤمنت جنت تجرى من تحتها الأنهر خلدين فيها ومسكن طيبة فى جنت عدن ورضون من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم) [التوبة: 72]

إنّ الهجوم على المسلمين في البوسنة هو هجوم على كل أحاسيس رجال الدين وذوي الضمير، إنّ المذبحة والمضايقة المستمرة لأولئك اللاجئين العائدين هي إهانة شديدة

للإنسانية. الحرب ضدّ الإسلام في تلك الأرض لم تنته، اضطهاد هؤلاء الناس لا يمكن تفسيره إلا بأنه اضطهاد للدين، إنّ مناظر الحرب التي تتم مشاهدتها من خلال التلفزيون وفي الصحف تجعل العالم يدرك بشكل كاف وبشدة طبيعة ووحشية مهاجميهم، كم على المسلم أن يكون واعياً وبشكل أكبر بكثير من المسيحي؟ وبالتأكيد هذا يجب أن يبدأ بأولئك الراضين عن أمنهم النسبي وذوي الخمود الروحي المنبثق من ذلك الرضا. بالتأكيد العالم يجب أن يتوقّع حملة قادمة من الأصوليين، وسعياً عالمياً لزيادة الوعي الإسلامي، والذي يجب أن يتم وسوف يتم بشكل عاجل.

الأصوليّة تفرض على المسلم مسؤولية حماية إيمانه الذاتي، لأنه لا يستطيع الاعتماد على المساعدة الخارجية وحدها، مع أن المساعدة تأتي في حالات كهذه ولكنها تأتي متأخرة كثيراً في معظم الحالات. رغم أنه كان علينا أن نقدّر بأنّ الشرق الأوسط لعب دوراً في دفع الغرب للوقوف ضدّ الاضطهاد والمذابح التي تعرض لها، إلا أن الكياسة والذوق الغربي بالمقابل كانا غير قادرين على العمل الفعال وفقاً لما هو مطلوب، وفي الوقت الضروري وبالسرعة المنشودة، في اللحظات الحاسمة.

وسيصبح ضرورياً عقد مؤتمر دولي بجدول أعمال مكرّس لتوفير وسائل حماية الحرية الدينية للمسلمين، وأيّ مؤتمر كهذا، سواء تمت الدعوة إليه محلياً أو قومياً أو في النهاية عالمياً، قد يحقق إمكانية توجيه رده الخاص، كما أن حظر النفط على الأمم الأخرى يمكن أن يساعد، لكن دول النفط الإسلامية تتردد في القيام بذلك، ثم هناك إمكانية الحصول على أو استخدام القوة النووية الإستراتيجية لتستعمل كقاعدة لدعم الأسلحة التقليدية، ولتحسين فرص التفاوض.

الأهم من هذا هو ضرورة وجود الدافع لزيادة الوعي الإسلامي، فالإسلام لا يستطيع الاستمرار بكونه منبوذاً وفقاً للخلفيات التي تستند إليها المخاوف المسيحية واليهودية منه، إنها حقيقة طبيعية عالمية لا يمكن الاستمرار في تجاهلها والتقليل من أهميتها، وبسبب هذا الموقف العالمي، خصوصا في الغرب الذي جعل الصرب يتصرفون بحرية لتحطيم وتدمير المسلمين في تلك المنطقة، فالصرب لم يعتقدوا بوجود عواقب

لأفعالهم، والتأخير في ردّ الفعل الغربي جعلهم يعتقدون بأنهم يتمتعون بحصانة ورضا دولي في تدمير هؤلاء الناس وانتهاك حقوقهم، وهذا ما فعلوه، إلى أن وضع الغرب أخيراً أقدامه على الأرض، ليس من أجل المسلمين بل من أجل العنف وانتهاكات الصرب ضدّ منظمة حلف شمال الأطلسي نفسها آنذاك.

كما أن الفكرة السائدة: بأن الغرب يحترم الشرق الأوسط لاحتياطه النفطي فقط يجب أن تزال، فهي أمر ساذج ومقيت، وعديم الاحترام. فمع أن الإسلام دين عالمي فالشرق الأوسط هو مركز الإسلام، والمسلم خارج الشرق الأوسط هو الذي يجب أن يلعب دوراً حاسماً، أعظم وأكبر بكثير مما يجري الآن، في مسعى للحصول على منزلة دولية أعظم للإسلام، والقوة الكامنة في القرآن يجب أن تصبح قوّة الشعب المسلم، قوة المسلمين لا يجب أن ينظر إليها باستهتار، في الوقت الذي تُدفع فيه ملايين الدولارات العسكرية لمساعدة إسرائيل لتستمر في مفاوضات السلام مع الفلسطينيين، وإن الرحمة والتواضع يجب أن تحل محل التكبّر العلماني الغربي.

الأصوليون لا ينظرون إلى الغرب على أنه مسيحي في شخصه، بعض الدول في الشرق الأوسط يمكن أن تعتمد على أمريكا بشكل جيد في وقت الحاجة، ولكن هذه المساعدة لم تكن متوفرة بسهولة للمسلمين في صربيا! إنّ السبب واضح، فالغرب لا يهمه أن يحمي الدين ولكنّه يحمي مصالحه الاقتصادية والسياسية وحدها.

الأصوليّة تشكل إكسير الإيمان، لأنها تشعِر بالفخر الذي يستحق أن يناله الشخص من الإيمان، إنها تؤكّد وترسخ الإيمان لأنها تنحني أمام رسالة الشريعة السماوية التي تعد القرآن هو السلطة الوحيدة في قواعد الحياة والمعيشة. إن المؤمن ينحني لله وحده، ليس لنفوذ سياسي أو اقتصادي، وسمو المسلم في كلّ مجالات الحياة، من السياسة إلى العمل، هو دليل على الاتجاه الصحيح. يرافق ذلك ضرورة سمو الوعي الإسلامي بكلّ ما يحمله من طيبة وإنصاف وجمال وسلام. الإسلام يمتلك الكثير ليعطيه أو يمكن أن يعطيه، وبشكل أكبر بكثير من معظم المعتقدات الدينية الأخرى، خاصة عندما تتهاوى تلك المعتقدات العلمانية والمادية.

التفكير الأصولي ينطلق بكل تأكيد من مقولة: إذا لم يُعلن الجهاد اليوم ألا يجب علينا رغم ذلك أن نعتني بخيولنا، وأن نجهز الغمد والسيف للغد؟ هناك الكثير من بيننا لا يمتلكون الفرس، وآخرون لا يمتلكون الغمد ولا السيف، وهناك الكثير ممن تركوا خيولهم لمدة طويلة لترعى في الحقول بكسل، بلا حذوات ومريضة، والأكثر من ذلك تركوا سيوفهم وأغمادها للصدأ.

(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وانتم لا تظلمون) [الأنفال : 60]

الناس الذين لا يفقهون هم أولئك الناس الذين لا يستطيعون أن يفهموا ما هو الحق والأحقية، وبالتالي العمل وفقاً لذلك، فيتضح هنا أن الهجوم على المسلمين في صربيا، كان بلا مبرّر وآثماً تماماً وذلك أمر لا يقبله القرآن، وبالتالي يُطالب بالجهاد، وعلينا أن لا نخاف من هذا الأمر الإلهي! ألم يقم حلف الناتو عملياً بذلك، حتى ولو كان بشكل متأخر؟

قابلية الإسلام للدفاع عن نفسه ليست موضع مساءلة ، إنها وضع حقيقي تأكّد بالمأساة الصربية وحدها، والتفكير بذلك يصبح مطلباً ضرورياً وحقيقة محتومة للمسلم، ويتطلّب منه التخطيط ووحدة الهدف، والتجربة البوسنية تثبت ذلك.

(وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) [الأنفال: 39] فالأمر هو مجرد دفاع عن النفس وليس عدواناً، وهكذا يعتقد الأصولي، وهو اعتقاد صحيح.

(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) [الأنفال: 61]
إنّ الاستعداد للحرب هو غالباً تصرف دفاعي، مع أن متطلبات الدفاع قد تتطلّب الاشتراك الفعلي في الحرب، وهذا لا يختلف عن الأعمال التي تقوم بها منظمة حلف الشمال الأطلسي والتي هي محاطة بالمعايير الدينية، ناهيك عن أن الجهاد المستند على خلفية دينية لا ينوي القيام بعدوان غير مبرر.

يعتمد الاستعداد الإسلامي على ثنائي أولي، أولًا، لابدّ أن يكون هناك نضوج متميّز للإيمان والقبول غير المشروط لأساسيات الإيمان. ثانياً، يعتمد على الإدارة الإسلامية الواعية لمصادره. إن هذا يمكّن المسلم أن يبقى على استعداد ليكون تحت تصرف الإيمان، إمّا بالجهد المادي أو بالجهد العضلي، أو بكليهما. الأول يطالبه بالتزامه الشخصي، ويطالب الكل بالالتزام المشترك والشامل والتطبيق العملي للالتزامات الشخصية المترتبة عليهم كمسلمين.

إنّ الالتزام الشخصي هو ذاك الذي يمتد إلى العائلة لكي يكون لديهم فهم لغرض الإيمان، والتزام عائلي بهذا الغرض. ببساطة، الرجل يجب أن يكون قادراً على حمل السلاح من دون ندب وبكاء زوجته! يجب عليها أن تتعلّم وتعرف الأمر الإلهي بالجهاد، وذلك لأنها مسلمة بقدر ما هو زوجها مسلم! إنّ الوعي العائلي للإسلام هو العامل الذي يقوّي عزيمة رب الأسرة، فالأسرة لا يجب أن تكون مجرّد مساندة وداعمة للرجل، فهم مدينون بالطاعة إلى الله وليس لذلك الرجل، أي رب الأسرة، والزوج والزوجة كلاهما في ولائهم إلى الله يجب أن يفهما الإيمان أولا، وبعد ذلك يعلّمونه لأطفالهم بشكل جيد.

كلّ عضو في العائلة يجب أن يدرك بأنّ عليه واجباً تجاه القرآن الكريم، لكي يكون صامداً في إيمانه بالرسالة الربانية، والتضحية في سبيل الله برب الأسرة لا يعوض الواجب المنوط بهم أمام الله، فالبالغون ستتم محاسبتهم أيضاً طبقا لأفعالهم. وفي الآية التالية نرى التحذير بشكل واضح، بأنه حتى لو قاتل المسلم بشدّة في سبيل الله وبقي صامداً تجاه الصعوبات التي هي ذات أهمية عظمى، فهي قضية ستأخذ في الحسبان بشكل محدّد من قبل اللهّ في تحديد دخول المرء إلى الجنة أم لا. (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جهدوا منكم ويعلم الصبرين) [آل عمران: 142]

إنّ النتائج الإيجابية لهذا الوعي العائلي مفيدة لنشر السكينة في العائلة تحت كلّ الظروف، بما في ذلك في أوقات الأزمات، فالالتزام بالإيمان يبعث النشوة في النفس وفي العائلة، إنه يشبع العائلة بروح التضامن الراسخ العملي في سبيل الإسلام. إنّ الحسنات التي يمنحها الله هي عشرة أضعاف ما تقدمه العائلة في سبيله، في هذا الانسجام

سيتمتّع المرء، ليس فقط بالسعادة الروحية العميقة، ولكن بإحساس العافية واللياقة الطبيعية، بالإضافة إلى إحساس السرور الدائم!

لا يوجد رجل معزول، لا يوجد مسلم يمكنه عمليا أن (يحارب في سبيل الله) وعائلته لم يوحدها الإسلام، إنّ قوّة الشعب تعتمد على عدد الأسر الكليّ المتحدة في الإسلام، أولاً الفرد، ثم الأسرة، ثم المجتمع المحلي، ثم المجتمع الوطني وأخيراً القوة الموحدة للمجتمع الدولي.

يؤمن الأصولي بأنّ المفاهيم الواسعة يجب أن لا تُقلق المسلم، لكن عليه أن يركّز على نفسه وعلى الوحدة العائلية فقط. إن تحرك الأسر الإسلامية ضمن الجماعة وفي المجتمعات الأوسع هي نتيجة منطقية وفعل واقعي يقومون به. ومن هذه الأسر يظهر القادة والزعماء في الأوقات الملائمة، وفقاً لظروفهم الخاصة، إنهم منتجات الوعي الاجتماعي الإسلامي، ولقد تم صُنعهم ليس بمعجزة بل بالتفاعل القوي للجماعة في أداء وظائفها الاجتماعية والدينية. المجتمع لا يتوحد فقط بالصلاة، بل في أمور المصلحة العامة. وفي مختلف الظروف الاجتماعية، ومن خلال المحاور التنظيمية لحياة كل فرد، يتم تمييز الأشخاص المجتهدين ذوي القدرات والخبرات المختلفة، الشخص الخجول والحساس سيدع خجله وحساسيته ويتولى بسعادة مسؤولياته في القيام بهذا الواجب ضمن نطاق معارف وعيه الإسلامي الشخصي ووحدة عائلته، مما يجلب له البركة والرضا والعزيمة. وأمانته الناتجة عن التعاليم الإسلامية ستسيطر على الإحساس الذي لا داعي له في الغرور، كما لن يجرؤ على تجاوز ما هو مكلف به، أو يتخبط في مجالات لا يعلم عنها إلا القليل، سيكون أميناً وصادقاً بالعمل بكل ما يمتلكه من خبرات وما يمكنه القيام به، فقط في مجال خبراته ومعارفه. وفي تمرين عملي كهذا سنجد عديداً من الناس ينضمون إلى الفريق، كل في مجاله، وكل منهم يُظهر الوعي الإسلامي للمشروع.

رجل قد يهدم والآخر قد يبني، وآخر قد يدعو للتحدث، وغيره للكتابة، كما قد يسوس أحدهم الخيل، وآخر يُنعله، أو كما يصنع أحدهم الغمد والآخر السيف. فعندما تأمر الظروف، سيكون هناك واحد يصعد على ذلك الفرس ويحمل ذلك الغمد والسيف، وسيكون

القائد! يُتوقَّع من كلّ مسلم أن يعطي أفضل ما عنده، هذا كلّ ما يطلبه القرآن الكريم، والأجر سيكون مكافئاً بالطبع لذلك. (من عمل صلحا من ذكر او انى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) [النحل: 97]

يشدّد الإسلام على الوعي العائلي، بأهمية لا يمكن زيادة تأكيدها لأن أفراد العائلة يمكن أن يمارسوا تأثيراً سلبياً ما، لذلك فالقرآن يحذّر من إغراء الثروة العائلية، أو الخوف من نقص الثروة التجارية الشخصية، أو الخوف من خسارة القصور الفخمة التي نعيش فيها، فالمسلم لا يحيد عن (الكفاح في سبيل الله). عائلته الخاصة قد تعيقه وتخمد اندفاعه نتيجة سيطرة القناعة المادية عليه إلى درجة يصبح فيها عبداً راغباً للمادة، ويحذّر القرآن الكريم بشكل محدّد: (يايها الذين ءامنوا لا تتخذوا ءاباءكم وإخونكم اولياء إن استحبوا الكفر على الإيمن ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظلمون * قل إن كان ءاباؤكم وابناؤكم وإخونكم وازوجكم وعشيرتكم وامول اقترفتموها وتجرة تخشون كسادها ومسكن ترضونها احب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفسقين) [التوبة: 23-24]

لذا على المرء أن يحافظ على صحبة المؤمنين وليس بالضرورة أن يكونوا من الأقارب، والأكثر من ذلك على المؤمن أن يتجنب الأقارب إن كان لهم تأثير سلبي على أدائه لواجبه الديني. وفي الحقيقة نجد أنّ القرآن الكريم يتعامل مع هذه الظاهرة بشكل محدّد، بحيث يجعل المرء يتريث بوضع ملاحظاته الخاصة، فالحقيقة غير المرغوب فيها هي أن أكبر التأثيرات والتداعيات وأقواها تأتي من العائلة. والاعتبارات العائلية يمكن أن تصبح آلة للخير وآلة للشرّ، إنها سلاح يُستعمل أحياناً ليجعل المرء يشعر بالذنب عندما يحاول ألا يوافق على فكرة يطرحها رب العائلة أو أغلبيتها، فعندما تكون الاعتبارات العائلية مناقضة للواجب الإلهي، فعلى المرء الاختيار والتفضيل. القرآن يحذّر: لن يكون هناك عذر لأي مسلم يقول بأن الاعتبارات العائلية هي التي قيدته، وبأنّه لم يرغب بمخالفة واجباته الدينية.

لذا كان غرس الوعي الإسلامي الحقيقي في الوحدة العائلية هو أمر ذو أهمية

قصوى على رب الأسرة المسلم، وإن هو لم يقم بذلك فقد تزداد الحالة سوءاً لدرجة أن يكون أحد الأطفال ملتزماً والآخر عاصياً. الولد غير المؤمن، قد يؤثر سلباً على أفكار الآخرين، مع كون رب العائلة ملتزماً فإنه سيسمح للسلوك الآثم بالنمو والتغلغل في بيته.

إنّ تدريس الدين الإسلامي بشكله الصحيح للعائلة هو المرحلة الأولى لنشر الإيمان، وهو الحماية لذلك الإيمان في تلك المرحلة. الظروف قد تطلب من المسلم أن يبتعد عن ذوي الشكوك ضمن محيطه وعائلته الخاصة وعليه أن يعيش بعيداً عنهم. إذا سادت هذه الظروف، عليه إذاً أن يتقبل ويتحمل في سبيل الله هذا المنفى الذاتي، إن ابتعاده عنهم هو تماماً كبعده عن أرض الأعداء والأحباء، وهو أمر ضروري في سبيل الحق. عليه أن يقوم إرشاد أولئك الضالين، ولكن عليه ألا ينضم إليهم في ضلالتهم رغم صلة الدمّ. على المؤمن ألا يتأثر بالحبّ الإنساني، أو بإحساس الواجب الإنساني، لكي يرفض أو يتهرّب من المنفى إذا تطلبت الظروف ذلك، إن هو استسلم للعبودية الإنسانية فإنه ينضمّ إلى التمرّد ضدّ الله، تلك هي كلمات القرآن الكريم.

بالتأكيد الأصولي يقول للمسلم: (لا تنتقص ذنبك بقولك بأنك في العدد واحد فقط، فالملايين تتألف من واحد وواحد الخ.. أنت الضعيف ستتزوّج ربّما زوجة أو أكثر، وسينجبن لك الأطفال، وأطفالك سيتزوّجون وسيؤلفون عائلة كبيرة، إن كنت ضعيفاً في إيمانك، فذلك سيضعف إيمان زوجاتك، أو قد يجعلهن يخسرن ما كان عندهم من إيمان قبل الزواج، أطفالك سيولدون بضعف الإيمان ذاته وسيظلون كذلك، فهذا الواحد سيلد المئات ثمّ الملايين ممن هم في جحود وتمرّد وكفر!)

(لذا لا تستطيع أن تقول إنك رغم عدم قيامك بواجبك الديني، فإنك لا تؤذي أحداً! في الواقع أنت تسبب الأذى! كلّ أولئك الذين يتبعون طريقتك سوف يتعلّمون عصيان الله. هؤلاء الأشخاص سيبذرون بذور العصيان بين المخلصين، أولئك الذين يدعون بأنّهم مؤمنون ولكن في الحقيقة هم يشكّلون خطراً على المجتمع الإسلامي، وهم سيضلّلون بأعمالهم من هم على الصراط المستقيم، فهم ذئاب بزيّ خراف، وسيوقعون بالمخلصين إلى أن يتمكنوا من افتراسهم.)

الحاجة للحفاظ على الصمود في سبيل الله هي أمر أساسي، وقانون أساسي، فلابدّ للمرء من الإلمام بعلوم القرآن، وأن يؤمن بالصلاح ويسلم به، وأن يكون صادقاً في ذلك العلم وصامداً بإيمانه به. والأعمال المتّفقة مع هذه العلوم ومع الإيمان هي طريقة الحياة الإسلامية.

ضمن مجال العائلة الواحدة، رب العائلة هو قائد، فهو أوّل زعماء المجتمع، لذلك هو مبارك لأنّه ذو منصب طبيعي، وهو في أقوى المواقع تأثيراً على عائلته، لأنهم يأتمنونه كمرشد لهم. فهو مسلّح بالإيمان الحقيقي، يمكنه أن يتغلّب على أيّ عقبة في مسعاه لخلق أسرة إسلامية يحافظ عليها موحدة في الصلاة والعلم والهدف. إنه بيديه يصنع أسرة موحدة مُستحقة للحياة وجديرة بالإيمان في نظر الله عزَّ وجلّ، بعمل ذلك، فإن ذريته تحصل على فرصة أفضل لصنع أسر أخرى بالجدارة نفسها.

والمسلم هنا ليس وحيداً في جهوده، فالقرآن الكريم يوجهه، والإيمان سيعطيه بصيرة ربما ستكون مدهشة، والله سيمنحه نجاحات كانت تُعَدُّ مستحيلة. (z`Ï%©!$#uصلى الله عليه وسلم #)صلى الله عليه وسلمßyg»y_$uZÏùöNåk¨]tÏ÷ks]s9$uZn=ç7ß4¨bÎ)uصلى الله عليه وسلم #9#yìyJs9tûüÏZÅ¡ósßJø9$#!$©) [العنكبوت: 69]

وفي التحليل النهائي نجد أن القرآن صريح في أن حماية الإيمان هي عنصر مكمّل لمزاولة الإيمان، فأيّ شكل من أشكال المنطق لا يمكنه إنكار ذلك، كما لا يمكن لأيّ تمرين في التقييم الثقافي أن ينكر الضرورة الواضحة للأمر الأساسي والملح بشكل لا يمكن نكرانه، بأن الرغبة في الحفاظ على إيمان المرء يجب أن تكون بقدر حماسه في مزاولته لإيمانه ولدرجة أكبر، لأنه من الواضح جدا أن الإسلام كمعتقد هو معرض للهجوم على مستويات عدّة كما أوردت سابقاً، على سبيل المثال: الهجمات الجسدية على المسلمين، والفتنة الدينية باستخدام أساليب التفرقة والفتنة هي أيضا هجوم على الدين والإيمان.

ما هو رائع في القرآن الكريم هو حثّه وأوامره المتكرّرة لحماية الدين وأن يكون ذلك الأمر هدفاً أساسياً، ثم ارتأى، في الوقت ذاته من خلال الوحي، الحاجة إلى الأمر، وهذا

الحاجة للحفاظ على الصمود في سبيل الله هي أمر أساسي، وقانون أساسي، فلابدّ للمرء من الإلمام بعلوم القرآن، وأن يؤمن بالصلاح ويسلم به، وأن يكون صادقاً في ذلك العلم وصامداً بإيمانه به. والأعمال المتّفقة مع هذه العلوم ومع الإيمان هي طريقة الحياة الإسلامية.

ضمن مجال العائلة الواحدة، رب العائلة هو قائد، فهو أوّل زعماء المجتمع، لذلك هو مبارك لأنّه ذو منصب طبيعي، وهو في أقوى المواقع تأثيراً على عائلته، لأنهم يأتمنونه كمرشد لهم. فهو مسلّح بالإيمان الحقيقي، يمكنه أن يتغلّب على أيّ عقبة في مسعاه لخلق أسرة إسلامية يحافظ عليها موحدة في الصلاة والعلم والهدف. إنه بيديه يصنع أسرة موحدة مُستحقة للحياة وجديرة بالإيمان في نظر الله عزَّ وجلّ، بعمل ذلك، فإن ذريته تحصل على فرصة أفضل لصنع أسر أخرى بالجدارة نفسها.

والمسلم هنا ليس وحيداً في جهوده، فالقرآن الكريم يوجهه، والإيمان سيعطيه بصيرة ربما ستكون مدهشة، والله سيمنحه نجاحات كانت تُعَدُّ مستحيلة. (u#$!©%Ï`zصلى الله عليه وسلم #)صلى الله عليه وسلمßyg»y_$uZÏùöNåk¨]tÏ÷ks]s9$uZn=ç7ß4¨bÎ)uصلى الله عليه وسلم #©!$#yìyJs9tûüÏZÅ¡ósßJø9$#) [العنكبوت: 69]

وفي التحليل النهائي نجد أن القرآن صريح في أن حماية الإيمان هي عنصر مكمّل لمزاولة الإيمان، فأيّ شكل من أشكال المنطق لا يمكنه إنكار ذلك، كما لا يمكن لأيّ تمرين في التقييم الثقافي أن ينكر الضرورة الواضحة للأمر الأساسي والملح بشكل لا يمكن نكرانه، بأن الرغبة في الحفاظ على إيمان المرء يجب أن تكون بقدر حماسه في مزاولته لإيمانه ولدرجة أكبر، لأنه من الواضح جدا أن الإسلام كمعتقد هو معرض للهجوم على مستويات عدّة كما أوردت سابقاً، على سبيل المثال: الهجمات الجسدية على المسلمين، والفتنة الدينية باستخدام أساليب التفرقة والفتنة هي أيضا هجوم على الدين والإيمان.

ما هو رائع في القرآن الكريم هو حثّه وأوامره المتكرّرة لحماية الدين وأن يكون ذلك الأمر هدفاً أساسياً، ثم ارتأى، في الوقت ذاته من خلال الوحي، الحاجة إلى الأمر، وهذا

ما يعطي المرء إدراكاً مذهلاًبأن القرآن لم يكن مقيداً بأيّة طريقة بتلك الفترة الخاصة من التاريخ التي تنزل فيها، بل هو غير مقيد بأي وقت، وهو ذو علاقة بكلّ الأوقات ووثيق الصلة بها. والقرآن بالتأكيد هو حالي في كل زمان ومكان، أياً كان من يعارض هذا فهو إنسان لا يرغب بالرؤية ولا حتى بالسمع! (فلا تطع الكفرين وجهدهم به جهادا كبيرا) [الفرقان: 52] (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعملهم) [محمد: 4]

فقط عندما يكفُّ الكفرة عن هجماتهم على الدين وعلى المؤمنين سينتهي الجهاد. مع انتباه بسيط إلى الأخبار العالمية ستجد حقيقة أن الإسلام يتعرض للهجوم، المهاجمون لم يُقهروا، ولا هم يرغبون في الحصول على سلام، والحرب لم تلملم أوزارها.

الفصل الخامس

الدعم المسيحي للقضية الإسلامية

إنّ تقدير المحتوى الأساسي والواضح للقرآن الكريم، من دون أية مواقف متحيزة، هو أمر ضروري للتقييم العادل لكلّ الآيات، إنه احتيال ثقافي أن يتم تخطي أو تلافي الآيات التي تتعارض مع وجهات النظر الشخصية لشخص ما، أو مع المصالح السياسية، وبالتالي الإجحاف بحق البلاد والشعوب.

لم يسبق أبداً أن كانت الحاجة لدراسة الدين أمراً حيوياً وعاجلاًمن قبل كل الناس كما هو الآن، وذلك الدين هو الإسلام. ليس ذلك لكي تغيروا دينكم، إن لم تكونوا مسلمين، بل من أجل الفهم الضروري للدين الأكثر حيوية في التاريخ، ذلك الدين، وبسبب سوء الفهم والدعاية المضادّة، أصبح الأكثر جدلاًمن بين كافة المعتقدات الدينية الأخرى. وكما كانت المسيحية موضع جدل بالنسبة لليهودية، أصبح الإسلام موضع جدل من قبل المطامع العلمانية للعالم.

إنّ الخلاف هو نتيجة الطموحات والمطامع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للأشخاص والأمم والحكومات من خارج المناطق الإسلامية، الموجة الإسلامية الكبيرة في إيران قامت بطرد الشاه وسبب ذلك حزناً كبيراً للغرب، لقد أقامت تلك الموجة مؤسسة حكومية دينية، لماذا يجب أن يكون ذلك موضع جدل؟ أمة معينة من الناس اختارت تأسيس دينهم أو إيمانهم في الأبنية الحكومية وغيرها من الأبنية، اختارت أن يتم حكمهم من قبل رجال الدين بدلا من السياسيين! العديد من المسيحيين الأصوليين يفضلون حكومة مسيحية حيث إن القانون بنفسه سيكون مستنداً على ما هو أخلاقي من وجهة النظر المسيحية.

إنّ مسيرة الأصوليّين هي أشبه كثيرا بالحملة الصليبية، والتي تهدف إلى تكوين أبنية وهياكل سياسية اجتماعية تعمل طبقاً للمبادئ الإسلامية، ولا يمكن أن يكون في ذلك ذنب بأي مقياس، يحصر الأصولي حملته الصليبية جوهرياً في الشرق الأوسط حيث أنّ كثافة الشعوب الإسلامية كبيرة بالتأكيد.

أما خارج الدول الإسلامية ففي الدرجة الأولى يعلّمون التعاليم الأساسية التي هدفها الرئيسي هو الحفاظ على المسلمين على الطريق الصحيح في بيئة غير مسلمة. هذه ضرورة واضحة بسبب التأثيرات العلمانية القوية التي يمكن مصادفتها هناك، فالمخلصون بالإضافة إلى ضعفاء الإيمان يجب أن يحاذروا من تأثيرات المخدّرات والكحول والجنس المتوفرة بحرية، على سبيل المثال، يجب ألا يكون الأمر مفاجئاً إن اتخذ الزعماء مواقف متشددة تستند إلى عقائد الإيمان، إنها فقط العقلية العلمانية التي تشعر بالتّهديد من هذا الموقف الإسلامي، لذلك قد يشعر الأجنبي بالخوف! إذا المسلم رفض المشروب الكحولي، وإذا عبر عن سخطه على الممارسات اللاأخلاقية بشكل فاضح، هل ذلك يجعله خارج النسيج الاجتماعي؟ في مفهوم الأجنبي ربّما، الأجنبي ينظر إلى المسلم كفرد لا يستطيع أن يكون جزءاً من النسيج الاجتماعي، قد يكون ذلك الأجنبي رافضاً للاعتراف بإحساسه الخاص بالذنب في الشرب، إنه ضمير الأجنبي الذي لا يستطيع مواجهته. العناد والتمييز العنصري، والخوف من سوء الفهم، والتشويش والذريعة السياسية هي بعض من الأسباب الأوسع للضغط الذي لا داعي له الذي استحضر للتأثير على الإسلام، إنه لمن المدهش أن يتم هذا الاتهام، والأكثر دهشة أن الأديان الرئيسية الأخرى لا تتحدى ولا تواجه هذه الحصانة العلمانية.

لقد قلت بأنّ المسيحية كقوة ضمير أخلاقي في العالم في حالة تدهور، الهيمنة العلمانية أثّرت بشكل كبير على أحاسيس المسيحيين حتى اليوم، فأصبحوا يحسبون أن ما هو علماني هو مسيحي في الواقع، ويقبلون بأنّ القانون المدني مرادف للمبادئ الأخلاقية، إلى حدّ أنهم يظنون بأن ما هو صحيح سياسياً هو صحيح أخلاقيا! فبعد أن حجبوا بصرهم عن حقيقة التعاليم المسيحية، يهملون ويبتعدون عن قراءة وفهم محتوى العهد

الجديد، ينفصلون أو ينضمّون إلى كنائس حديثة النشوء، يرفضون ما هو تقليدي، لأنهم يريدون الترفيه الاجتماعي والموسيقى في تلك الساعة أو الساعتين التي كانوا يخصصونها لله في كلّ أسبوع، فيدّعون بأنّهم وجدوا وسيلة الخلاص. وعند قيامهم بذلك يتعلّمون رفض المبادئ الدينية المقبولة منذ زمن طويل، وهم بشكل علني يدينون المبادئ الأكثر أساسية، ومع ذلك يدعون الإيمان!

هؤلاء هم جزء من أولئك الذين يصوّتون في التجربة الديمقراطية للحكومات السياسية، البعض منهم يصبح في الوقت المناسب، أو من خلال الدورة العادية للحياة والموت، من السياسيون، فيؤثّرون على مسار العلمانية بسهولة وراحة أكثر من أولئك الذين سبقوهم! وبالتالي بينما الوقت يمر، المسيحية تتراجع.

إلى الآن، ما عليهم أن يعترفوا به هو أنّ العلمانية تبنّت الصورة أو الواجهة المسيحية، ليس لأنها بحاجة لذلك أو لأنها تحاول بشكل نشيط عكس مثل هذه الصورة على حكومتها العلمانية، وأظهرت أنها تعكس إرادة الشعب لإلغاء ما كان يُسمى بذنب الناخب المسيحي، مع هذا، إنه سراب أكثر مما هو انعكاس، أو يجب أن يقول المرء إنه: انعكاس للسراب!

وقد جاء تحذير القرآن الكريم المتعلق بهذا المجال بقوله: (يايها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم ان تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهدا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) [الممتحنة: 1]

الدعم المسيحي العامّ، والفهم والتحمّل والاحترام الذي يُقدَّم للإسلام يأتي فقط من المسيحيين التقليديين، لأنهم متجذّرون بالمسيحية الأساسية وغير المشوبة. ومع أن هذا يطمئن إلا أن المسلمين لا يستطيعون الاعتماد على أيّ دعم حيوي من أي شخص ما عدا أنفسهم، ولا يجب عليهم أن يفعلوا ذلك. المسلم يمكنه أن يعتمد على المسيحي التقليدي بألا يضطهده أو يعيقه، ومع هذا هو لا يستطيع أن يتوقّع أنّ المسيحي التقليدي قد يساعد في

تنمية الدعوة الإسلامية أو حماية الدين الإسلامي، فأيّة حماية سيتم تقديمها ستكون سلبية أساساً بدلاًمن الإيجابية، إنه أمر واقعي أن يكون المسلمون مُجبرين على المواجهة، إنّ القرآن واقعي وحقيقي بشكل لا ينكر، فالإسلام يجب أن يُحمى من قبل أولئك المخلصين للإيمان.

في الوقت الذي تشهد فيه الديانة المسيحية تهدماً غير ملحوظ، حصل الإسلام على نصيبه من التهدم عبر العداء المفتوح المقترن بالدعاية المضادّة. والسؤال الذي يطرح نفسه سواء للمسيحي الأصولي أو للمسيحي بشكل عام، بما يستفيد من الهجوم على الإسلام؟ إنه لا يستفيد، ومن جهة أخرى السلطة غير المقيّدة التي اغتصبتها العلمانية تكسب بذلك الهجوم زخماً وجرأة أعظم، إنها تتحرك وتنتهك المجال الإقليمي للإسلام والمسلمين. الدعم الضمني الفعال للحكومات العلمانية يأتي من القطاع المسيحي السلبي والخامل، فيضفي النكهة الدولية للتضامن. هذه الحكومات لا تقوم فعلياً بدعم حقيقي للسيد المسيح، بل الدعم الذي تحصل عليه يعزّز الأنا وطموح السياسيين العلمانيين! بكلمة أخرى أنت بشكل سلبي، إن لم تكن بشكل نشيط، تدعم مضطهدك ومدمرك بشكل كبير! من ذلك المنطلق يضع القرآن الكريم توجيهاته المحددة بأن المؤمنين بالله يجب ألا يتعاملوا ولا يتعاونوا مع أولئك الذين ينكرون الإيمان. وهنا نجد أن أعمالك ستعود عليك، ومن غير المفهوم أو المنطقي أن تساعد القوة ذاتها التي تسعى بشكل نشط إلى تدميرك.

من الناحية الأخرى، الإدانة العلنية للغزوات المتعددة ضدّ الدين الإسلامي، هي أمر ضروري، لأنها ستؤدي إلى الضغط على السلطة العلمانية للإصغاء والانتباه والتمعن في تجاوزاتها، ودائماً السياسيون العلمانيون مشمئزون لانتقادهم من القاعدة التي تدعمهم، فنراهم يشقون طريقاً أكثر حذرا، حتى أنهم سيمنحون التنازلات أو يقومون بالانسحابات، فقط إلى أن يتجمّعوا ثانية، ثم يخطّطون لإستراتيجيات جديدة، ويهاجمون ثانية!

باتخاذنا موقف مشترك حول المبادئ الأخلاقية الدينية وعلاقتها بالمنشآت السياسية الاجتماعية الوطنية، فإننا نحقق المسعى لكلا الدينين. ومع الاختلافات المذهبية، إلا أن المسيحية والإسلام متّحدان في العوامل الرئيسية، وهي الإيمان بالله واليوم الآخر، كلّما

عدا ذلك ينبع من هذه المبادئ الإيمانية. السيد المسيح أعلن أنّنا يجب أن نحبّ جارنا كحبنا لأنفسنا، يجب أن نعامل الآخرين كما نحب أن يعاملونا، يجب أن نكون فاعلين في حماية جارنا كما نريد منه أن يحمينا. لا يجب أن ننتهكه، ويجب أن نمنع أية تجاوزات ضدّه كما نحن نتوقع منه أن يفعل تجاهنا، يجب أن نعارض منطقياً أولئك الذين ينتهكون حرماته كما نحن كنّا سنعارض أولئك الذين ينتهكون حرماتنا. حبّ الجار يتضمّن الاهتمام برفاهيته، رفاهيته تشمل مجموع وجوده، الطبيعي والروحي، للاهتمام به يجب علينا أن نضمن ألا يقوم أي شخص أو سلطة بتسبب الأذى أو الجرح لاعتقاداته الروحية، يجب علينا أيضا أن نضمن بأنّهم لا يجرحونه جسدياً.

(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) [الأنعام: 108]

(عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم * لا ينهاكم الله عن الذين لم يقتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من ديركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قتلوكم فى الدين واخرجوكم من ديركم وظهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظلمون) [الممتحنة:7-9]

(واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكفرين *) [البقرة: 191]

هذا صحيح بالنسبة لأيّ عقل ذكي، هذا صحيح بالنسبة لأيّ ضمير مسيحي حي أيضا. لذا وفي كلّ الظروف الضمير المسيحي وأسلوب حياته يتطلبان ردة فعل تدعم محنة جاره.

نسمع كلاماً حول إحياء المسيحية، وهذه مسألة تسبب الحزن والقلق، ولا تتطلب التهليل والابتهاج، فنحن لا نستطيع إنعاش طريقة الحياة ضمن جدران وتحت سقف بناية أو ملعب جديد فقط. بل يمكننا أن ننعش طريقة الحياة بالارتباط النشيط مع الجهة المقابلة

وذلك بالممارسة البسيطة لحب جارنا كحبنا لأنفسنا، بالانتباه لأهداف إيماننا الخاص، وفي ممارسة ما أُمرنا به.

الإسلام لا ينافس المسيحية. إنه موازٍ لها كما لو أنهما واحد، إنه الإله الواحد، القرآن ينص بشكل مطلق أنّ الكتب المقدّسة على مر الزمان هي من عند اللّه الواحد، بالطريقة نفسها التي أرسل بها الأنبياء من وقت إلى الآخر، وهذا منطقيّ كما هو عميق. لكن عليك التريث والتأمل لفهمه، لأنه بالتأكيد لن يكون واضحاً إلى قلبك كما هو إلى عقلك، ولا يكفي مجرّد القول: لقد فهمت. يجب عليك أن تلزم وعيك بهذه الحقيقة، ويمكنك فقط أن تعمل هذا بالتكرار المنتظم لهذه الحقيقة في نفسك، يجب عليك أن تكون قادراً على النظر إلى المسلم الذي يتمشّى في الشارع وتقول لنفسك: قرآنه والعهد الجديد جاءا إلينا من ربنا، ربه وربي رب واحد.

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا إليك وما وصينا به إبرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب * وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى اجل مسمى لقضى بينهم وإن الذين اورثوا الكتب من بعدهم لفى شك منه مريب* فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل ءامنت بما انزل الله من كتب وامرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعملنا ولكم اعملكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير) [الشورى: 13-15]

(إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما) [طه: 98]

يجب علينا أيضا أن نفهم الإسلام في سياقه الصحيح، الإسلام هو رسالة الله والاستسلام لإرادة الله، هذه هي النقطة الحاسمة والأساسية ذاتها عند المسيحية أيضا، بعيداً عن الأسماء التعريفية، تنبثق المسيحية من اسم السيد المسيح، وفي ذلك يظهر مصدرها الحقيقي. لذا، الأسماء لا يجب أن تضلّلنا وتربكنا، يجب أن نؤمن بحقيقة الإله الواحد، ورسالته واستسلامنا له. وبالتالي إنّ الخاتمة المنطقيّة هو أن كلّ أولئك الذين

يؤمنون بالإله الواحد، في الاستسلام له وفي يوم الحساب، كلّهم أخوة بلا تمييز عند الله، وبما أننا نعود إلى عائلة واحدة بمشيئة الله فكيف للإنسان عندها أن ينكر مُلكه؟

إن كنت تنكر الإيمان بالإله الواحد، فأنت تنكر الإسلام.

إن كنت تنكر الاستسلام والخضوع لله، فأنت تنكر الإسلام.

إن كنت تنكر الحق، فأنت تنكر الإسلام.

إن لم تكن محسناً، فأنت تنكر الإسلام.

إن كنت لن تترك طرق الشر، فأنت تنكر الإسلام.

إن كنت لا تهتمّ وتعتني بأقربائك، وبالأيتام، وبالمحتاجين وعابري السبيل، فأنت تنكر الإسلام.

إن لم تكن صادقاً، فأنت تنكر الإسلام.

إن كنت تنتهك حرمات الناس، فأنت تنكر الإسلام.

إن لم تكن متسامحاً، فأنت تنكر الإسلام.

إن لم تكن تؤمن بالتوبة وبالمغفرة من عند الله، فأنت تنكر الإسلام.

إنها المزايا ذاتها التي تعتقد بها الديانة المسيحية، إنها حقاً مزايا من عند إله واحد.

في وقت سابق أشرت إلى عظة السيد المسيح التي تأمر المسيحي بأن يحمل صليبه ويتبعه، واتّباع الطريق التي أمر بها اللهّ يتطلب التضحية، وجاء القرآن أكثر وضوحاً، فقد طالب المسلم ألا يضحّي فقط بما يملك من أملاك، بل بجسده وروحه أيضاً، بأن يحارب في سبيل الله، إنه يأمر المسلم بأن يحارب العدو بشراسة من أجل حماية الدين والإيمان. فهلّبالإمكان أن نعارض صلاحية هذا الأمر بجدية حتى ولو أنه كان موضع نقاش، مع أنه ليس كذلك؟ هل يمكننا أن نختم القول بأنه يمكننا أن نسمح لكلّ شخص دون استثناء بمهاجمة اعتقاداتنا، وإفساد أطفالنا، وقتل أخوتنا المؤمنين؟ إن أمكننا ذلك، فنحن عندها

نفتقر إلى الوعي الديني رغم تشددنا الديني. نحن لا ننكر الله فحسب، بل ننكر طبيعتنا البشرية الخاصة بنا. إن كنتم تعتبرون أن ذلك رأي صائب فليكن! إن كنا ننطلق إلى الضلال بعيداً عن المبادئ الدينية فنحن نتصرّف كالحيوانات الهائمة. لقد قمنا بذلك ولا زلنا مستمرّين في عمل ذلك على أساس أنّنا لا نريد أن نتدخل، إنه جبن واضح أو نقص تام في الإيمان الحقيقي بالله، فما هو المثل الذي نعطيه لعائلاتنا في المبادئ الأخلاقية الدينية إن كنا بأنفسنا ننطلق نحو الضلال؟

إنّ الهجوم ضدّ الإسلام هو هجوم ضدّ المسيحية، هو هجوم ضدّ مبادئنا الأخلاقية وأوامرنا الدينية وحريتنا، وبإعلان التضامن مع المسلمين في معركة الوجود الديني وإدراكه ضمن سياق القرآن، فإننا نخبر العالم بأننا لن نُنتهك، سنخبر العالم بأننا جسد واحد في عبادة الإله الواحد، نحن نعطي إشارة إلى كافة القوى العلمانية بأننا خاضعون لحكم الله وحده. محاكمة السيد المسيح، تثبت أنّه ادعى الولاء إلى الله وحده، المسلم الذي يتبع رسالة القرآن فإنه يتبع الله وحده. (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير). [لقمان: 30]

المسيحيون يجب أن يضغطوا للتأثير على الحكومات لتتعامل مع الأزمات التي تصيب المجتمعات الإسلامية، ونحن يجب أن نؤكّد حقوق المسلم، نحن لا نستطيع الاستراحة والقول بأنّ ذلك لا يعنينا أو أننا لا نريد التدخل، فذلك يحدث فعلا! وفي حين نعلن فشلنا فالعديد من الأرواح تزهق في النزاعات، والأكثر يعانون البؤس والحرمان من تلك النزاعات. إن السماح بالمعاناة والخسائر في الأرواح يناقض المسيحية، السماح بموت الأطفال هو مناقض للمسيحية، السماح بتعرض الزميل المؤمن بالله للمضايقات والأذى نتيجة الطموحات العلمانية هو مناقض للمسيحية.

(والتى احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلنها وابنها ءاية للعلمين * إن هذه امتكم امة وحدة وانا ربكم فاعبدون * وتقطعوا امرهم بينهم كل إلينا رجعون) [الأنبياء: 91-92 - 93] ألا يجب أن تتحقق الآن الوحدة في سبيل الله الواحد؟

رغم تنازلنا للعلمانية ما زلنا نمتلك نفوذاً عظيماً، فلدينا الأصوات في الحكومات العلمانية، لدينا زعماء ذوو مواقع دولية، ولذا يمكننا أن نضغط للتأثير على قيادتنا الخاصة للعمل بالشّيء الصّحيح، لقد حان الوقت لإعادة تفعيل وحدتنا. تذكّر هذه العظة للسيد المسيح: (أحبوا بعضكم البعض كما أحببتكم* ليس هناك حب أعظم من هذا، أن يضحي الإنسان بحياته من أجل أصدقائه). [يوحنا: 13،12- 15]

ألا يوجد بركة من الله في هذا العمل الحق؟ الكثير سيسخرون منك وينتقدونك بالمقابل، مع أن المصدر موجود في نصّرتعاليمنا الخاصة، فالسيد المسيح حذّر وذكّرنا: (إن كان العالم يكرهك، ضع في الحسبان أنه يكرهني أولًا).

وجاء في القرآن الكريم: (اما الذين ءامنوا وعملوا الصلحت فلهم جنت المأوى نزلا بما كانوا يعملون) [السجدة: 19] إنه لعمل سلوكي قويم أن نعيد تأكيد إيماننا بالله، أن ننعش وعينا الإلهي ونتعلم كيف نحمي ونربح مستقبلنا الديني.

إن كنت ضعيفاً وقليل الحماس، عندها اطرح فقط سؤالًا واحداً على نفسك: هل القرآن الكريم يعد المسلم فقط هو المعني بالإيمان؟ فكر ملياً في هذا وسنرحب بك كأخ في الإيمان، وفي أي وقت ومكان تبحث فيه عن الإجابة الصحيحة، ستجد توجيهاً من الله عزَّ وجلّ يوصلك إلى تلك الحقيقة. أحب الجار كما تريده أن يحبك، قدم للآخرين ما تحب أن يقدموه لك، تذكّر هذه الكلمات عندما تفكر، انتبه إلى وعد القرآن الكريم: (من يشفع شفعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا) [النساء: 85]

مما ورد في الآية ومن التجربة الثقافية المنطقيّة نستنتج: أن كلًا منا، ممن يدعم التفكير العلماني سواء بشكل سلبي أو بشكل فعال، هو داعم للشر، لأن الشر نابع من عدم احترامنا للمبادئ الأخلاقية الأساسية، ولذلك فنحن نساهم في عبء مسؤولية نمو الشرّ.

الفصل السادس

السعي إلى الدولة الإسلامية وقابلية النجاح

المسلم الأصولي يطالب فقط بأنّ يكون محكوماً بالقرآن وليس بالمؤسسات العلمانية، ومن غير الصحيح أن المسلم يريد فرض نظام إسلامي على كلّ شخص دون استثناء، وبما أن الإسلام ليس محصوراً في حدود جغرافية فمن الممكن ضمن الأنظمة الديمقراطية أن يمنح المجتمع الإسلامي لغير المسلمين الحقّ والفرصة ليحكموا أنفسهم بنظام يستند على المبادئ الإسلامية. القانون القرآني يمكن أن يُطبّق على المسلمين من دون تدخّل في الحقوق الدينية للآخرين وحتى المجموعات العلمانية أو غير الدينية.

على سبيل المثال، قوانين الزواج الإسلامية يمكن، ويجب، أن يجري التعامل معها طبقاً لمعايير القرآن الكريم، وبالتالي يتم اعتبار الحقوق المماثلة للأطراف الأخرى، هي ضدّ العقائد القانونية للزواج الإسلامي. القانون الإسلامي يجب أن يعطى تأثيره الكامل ويمكن أن يتم التعامل معه بالتماشي مع القانون المحلي بإيجاد بنود لحسم أيّ نزاع قد يظهر بين القوانين، وفي الحقيقة نجد السكان الأصليين في جنوب إفريقيا، مثل: (الزولو)، حاصلين على حق كامل لتطبيق قانونهم القبلي بوجود القانون المدني للدولة. إن القانون له بنود قانونية للتغلّب على أيّ حالة نزاع بين القوانين، لذا فالمقترح الذي يقول بأن قانوناً إسلامياً يمكن أن ينشأ ويتعايش ضمن أيّ حدّ جغرافي هو مقترح ناجح وفعّال.

لذلك، يجب علينا أن نصل بالضمانات الدستورية المتعلقة بالحرية الدينية إلى خاتمتها المنطقيّة، ويجب أن يتم ذلك بشكل خاص للمسلمين الذين أثبتت السجلات نجاحاتهم الحكومية على كل المستويات. كما الدول الإسلامية برهان كاف لهذه القدرة على الحكم في ظل القوانين والمبادئ الإسلامية، لذلك من الضروري للمسلم والمسيحي أن

يضمنا أنّ الحكومات تقوم بخدمات حقيقية تجاه مبدأ الحرية الدينية وليس مجرد كلام صادر من الشفاه.

بناء على سوابق جرت في الدول الإسلامية فأيّ مجتمع إسلامي في العالم الديمقراطي يجب أن يكون حراً في حكم حياته الخاصة بموجب قانون وممارسة إسلامية. ونظرا للوعود الديمقراطية والضمانات الدستورية المحصنة كانت الحاجة بشكل رئيسي لصياغة تشريع لتخويل المسلمين بحكم إسلامي، والتأسيس لبناء ما هو ضروري لتطبيق هذه العملية سيلي ذلك، والمسلمون يجب أن يكونوا مستعدين لاختبار هذه الحقوق في محكمة دستورية.

بناء عليه فستتوقّف العزلة الحالية للمسلمين، وفي الدرجة الثانية للمسلمين خارج الدولة الإسلامية، والمقدرة والحرية الكاملة لمزاولة اعتقاداتهم تصبح حقيقة. ممارسة الإيمان كما يجب لن تنحصر في هذه الدولة أو تلك بل ستصبح حقيقة دولية، وذلك سيُبطل أيضاً، إن لم يُلغي، الحاجة للراديكالية السياسية. إن كانت الحقوق محترمة، فالحاجة للثورة تتلاشى، المسلمون في أقاليم خارج الشرق الأوسط لا يشعرون بأنهم أجانب في موطن ولاداتهم، وسيحجون ليس إلى مكة فحسب، بل إلى قلب الإسلام الحقيقي، لأن قلب الإسلام لا ينحصر في مكة المكرمة أو في الشرق الأوسط، فحيثما يسكن المسلم الحقيقي يسكن الإسلام هناك. إنه الوقت الذي يُنظر فيه إلى المسلمين في الشرق الأوسط على أنهم تماما كأعضاء مكافئين للمجتمع الدولي للمسلمين، من دون تمييز أكثر المواقع أهمية، وبالتالي الأعضاء المتساوون ويجب أن يتمتّعوا بحقوق متساوية.

إنّ إزالة فكرة الحدود الإقليمية في سبيل القضية الإسلامية هي جزء من القضية، فالله لم يخلق الحدود الإقليمية أو الجغرافية، إنها نتيجة الحرب الصناعية والاستعمارية والسرقة. وفي كل الأحوال هذه الأعمال لا تستطيع أن تعيق الإيمان الذي ليس بحاجة لا لجواز سفر، ولا للموافقة الممهورة من أي شخص. الله منح جواز السفر الدولي، الفيزا والإقامة، وكل ما تبقى هو أن تأخذ هذه الحقيقة إلى موطنك إلى الحكومات الدولية.

(والأرض وضعها للأنام) [الرحمن: 10]

(امن جعل الأرض قرارا وجعل خللها انهرا وجعل لها روسى وجعل بين البحرين حاجزا اءله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون) [النمل: 61]

(رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) [المزمِّل: 9]

(هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) [الملك: 15]

إنّ القرآن يشدّد على القول بأنّنا في زيارة مؤقتة على الأرض حتى حياة ما بعد الموت، ومع هذا، في فترة الزيارة هذه، أي نوع من الرجال يمكنه أن يحرمك حق السعي في الأرض؟ وحق الوصول إلى طريق الله؟ من يستطيع منعك من الوصول إلى أيّ منطقة إقليمية أو جغرافية؟ وأن يكون هناك، على تلك الأرض، الحقّ باتّباع الطريق التي أمرك بها الله؟

بالتأكيد إنه لأمر مهمّ الإعاقة التي يتعرض لها المسلمون من قوانين البشر التي تفرض عليهم مصيرهم الإقليمي، إنّ مزاولة الإيمان مرتبط بالمصير الإقليمي للمؤمن، فالقوانين العلمانية للمنطقة تؤثر على حقوقه وطريقة حياته، إنها تخفق في تلبية متطلبات تلك الحياة فقد امتلك المسلم الحق الإلهي لكي يسعى في مناكب الأرض، وأن يأكل من رزقها الذي قدمه الله عزَّ وجلّ. نحن مهتمون بالحقوق الإقليمية الطبيعية والروحية، والقانون الإسلامي، فيما يتعلق بالمسلمين، يجب ألا يكون مقيداً بالقوانين الإقليمية العلمانية للجنس البشري، ويجب على السلطة الوطنية أو الدولية في العالم ألا تعتدي على حقوق المسلم، لأن الحقوق الإسلامية ليست تابعة للسيادة الإقليمية. أنا أسلّم بأنّ المسلمين قادرون على أن يعيشوا في أي إقليم أو مكان في العالم من دون أية سلطة حكومية، إيران قد تكون محظوظة لتمتّعها بكلا السلطتين الدينية والحكومية، ولكن الحقوق الإسلامية يمكن أن تُرسخ بالكامل حتى من دون دولة سياسية.

إن سعي الوضع الشرعي الدولي للقانون الإسلامي للمسلمين حول العالم سيتغلّب

في النهاية على القيود المتشددة على التحرك الدولي للمسلمين، وبهذا نتنبأ بأنّ المسلمين سيكونون خاضعين للقانون الإسلامي دولياً، سيكونون خاضعين في جميع الأوقات، وفي أي مكان، لقانون إلزامي هم اختاروا بحرية وبشكل طوعي أن يعترفوا به. إذاً إمكانية خلق معايير وطنية مشتركة بين المسلمين يجب أن تتم ضمن الحدود الإقليمية للبلدان حول العالم، وهذا سيكون الطريق العملي نحو الهدف النهائي لإنجاز مجتمع إسلامي حول العالم يحكمه قانون إسلامي دولي.

وكما هو مقترح أعلاه، الحكومة العلمانية يمكن أن تسهم في تطبيق القانون الإسلامي بين المسلم والمسلم وبين المسلم والأشخاص الذين بشكل طوعي يتعاقدون مع المسلم وفقاً للقانون الإسلامي، على أية حال غير المسلم سيكون مدركاً للحقوق والواجبات المترتبة على المسلم وفقاً للقانون الإسلامي، وهذه ستكون ذات صلة مع حقوق وواجبات غير المسلم وفقاً للقانون الإقليمي. وكما ذكرنا يمكن أن يتم وضع شروط لحلّ النزاع بين القوانين وهذا ليس بالأمر المستحيل لأن أسس القانون هي أو يجب أن تكون منصفة وبديهية. وهكذا فالإسلام لن ينتهك حقوق الآخرين، لكنّه سيحظى باستعانة قانونية وسيتم الدفاع عنه بالقانون العالمي ضدّ الهجمات على معاييره وعقائده وقوانينه، مما سيكون له نتائج إيجابية سياسية واقتصادية واجتماعية عالمية، وسيكون توازن صحّي بين الشريعة السماوية كما هي مُدركة من قبل المسلم وبين المؤسسة العلمانية، ومناطق النزاع ستزال والحاجة لاختيار الجهاد ستزال أيضاً.

وأذكر هنا آيات من القرآن الكريم: (وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدون إلا على الظلمين) [البقرة: 193] (وقتلوا فى سبيل الله الذين يقتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [البقرة: 190]

أتخيل هنا غرفة عمليات تدير وتلبي رغبات ومتطلبات الجنس البشري، الحاجات الروحية للمسلم هي ليست ببساطة رغبة أو أمنية، إنها تنبثق من آيات كتابهم المقدّس. المسلم لا يستطيع الامتثال إلى أوامر القرآن الكريم بالكامل إن رفضت الحكومات العلمانية أو أهملت تلبية أساليب العيش الإسلامية. الحرية الدينية الكاملة هي حقّ، ليست مجرّد

حرية الصلاة، الصلاة هي فقط جزء من الالتزام الديني. ما نحتاجه هو إجماع بسيط بين كلّ الأطراف المهتمّة، خصوصاً العلمانيين، يعترف بما ورد أعلاه، وبحق المسلم المستحيل النكران بأن يعيش حياته وفقا للقرآن الكريم. يجب عقد حلقات دراسية من محامين أساسيين يمثلون الأطراف جميعها، ومن علماء الدين، أياً كان الدين الذي يمثلونه، ضمن مثل هذه الحلقات الدراسية، فإن الأساس الضروري سيتم بناؤه لتأسيس اللجان الهيكلية ذات الخبرة لوضع خطة للتشريع الضروري. من خلال ذلك سيأخذ المسلمون بكل راحة المبادرة، وهناك حالات سابقةٌ عديدة متوفرة في الدول الإسلامية.

إن أول ما يجب أن يقرّر هو التفاعل بين القانون الإسلامي وقوانين العالم. ولنضع في الحسبان أن القانون الإسلامي هو الذي يحكم المسلم، وأن قانون العالم سيصبح غير هام بين المسلم والمسلم، والعلاقة بين القانون الإسلامي وغير المسلمين لا تُظهر أية مشكلة حقيقية لأن قانون العالم سيحكم فيما يتعلق بغير المسلمين وبين المسلمين وغير المسلمين. كما أنه يجب إقرار سيادة الدول الإسلامية من خلال تنفيذ قوانينها، مع أن تصنيف بعض هذه القوانين يمكن أن يكون إلى الآن متأرجحاً حيث توجد بعض الشكوك أو المرونة في بعض القرارات أو الفتاوى. على أية حال، هذه المسألة هي تماماً ضمن الحدود والسلطة القضائية للمفاوضين الإسلاميين ولا يسبب أية مشاكل إلى الحكومة غير المسلمة أو العلمانية.

والحكومات يجب أن تمنع معارضة القانون الإسلامي، فهذا ضروري لإعطاء التأثير العملي إلى الحقّ المعترف به الذي لا يمكن نكرانه، وما لم يتم ذلك فغير المسلمين يمكن أن يهاجموا الإيمان بحرية وحصانة رغم الضمانات الدستورية لأن الدستور العلماني ذاته يسمح بحرية متكافئة للنطق والاحتجاج. هذه الحرية الأخيرة قد تستعمل لمضايقة المؤمنين، ولذلك فالمؤسسة الإسلامية يجب أن تخول عبر مسؤولها الخاص بفرض الدعاوى الإجرامية والمدنية ضد غير المسلمين، وهذا ستجري محاولته وتقريره في المحاكم العادية في العالم.

التنبؤ والتحذير القرآني التالي يجب الانتباه إليه من قبل الحكومات: (ولا يزالون يقتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطعوا.) [البقرة: 217] (زين للذين كفروا الحيوة

الدنيا ويسخرون من الذين ءامنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب) [البقرة: 212]

حرية الكلام سلاح يستعمل لحماية الحقوق والحريات، فيجب ألا يستعمل ضدّ الحقوق والحريات المستحيلة النكران وخصوصا للمؤمنين. عندما تتعدى حرية الكلام على صلاحية الكتاب المقدّس أو العقائد الإيمانية لملايين الناس، فلا يمكن أن يتم قبول ذلك أو تأييده أو تحمله. كما أن المقدس الدستوري لا يحمل نزوات شخصية ضدّ المقدس الحقيقي الذي اكتسب أحقيته ومكانته من إيمان مؤسس ومعترف به، لكن في الحقيقة الكلام والحماسة اللاهوتيان المطروحان على نحو ملائم مستثنيان، لأن الحافز الذي أدى إلى ذلك الكلام يجب أن تحدد أهميته ويتم تقييمه. الحكومات أيضاً يجب أن تحمي الجالية الإسلامية من أيّة مضايقات اقتصادية أو سياسية، أو أيّ عمل ينوي تخريب نظام القانون الإسلامي ضمن ذلك المجتمع، ويجب أن تصدر القوانين وتنفذ ضد هذه المضايقات. وبذلك ستخلق الضمانات العملية والصحيحة الضرورية لتسهيل إعادة التكوين وحماية المجتمع الإسلامي ضمن الحدود الإقليمية للحكومات.

يتوجب على السلطة العلمانية أن تضمن أمن الحياة وأساسها للمسلمين بشكل أكبر، مثلًا: بافتراض قيام وكالة تعزيز إسلامية تشرف عليها محاكم إسلامية، ويجب عليه أن نتّخذ تدابير لضمان الحماية الآنفة الذكر إن أردنا تفادي الحل العسكري الموازي، وهذا على أية حال سيكون موضع مفاوضات وهو يتجاوز مؤشرات هذه الأطروحة.

الحكومات تمتلك السلطة والقوّة لإزالة أسباب النزاع، والناس أيا كانوا قد يكون لهم الحقّ بطلب مناطق النزاع، وعلى الحكومة، في تجربة ديمقراطية، أن تصل بديمقراطيتها إلى النهايات المنطقيّة، فالأمر ببساطة، وفي الشروط العلمانية، هو أن للمسلم الحقّ الديمقراطي للعيش طبقاً لقواعد إيمانه، وبالتالي هو حقّه الدستوري، وإن أُنكر عليه هذا الحقّ فهو مُخَوَّل وفقاً للقرآن الكريم بإعلان الجهاد الدفاعي، والذي هو في كل الأحوال يجره إلى النزاع مع القانون المدني.

الرفض الدائم لمنح المسلم حقّ العيش بموجب قوانين القرآن الكريم يمكن أن يُنسب فقط إلى سببين محتملين، أولا: الجهل أو الغباء، وثانياً: الرغبة المتميّزة لإخضاع وتحطيم الإيمان بمرور الوقت. الجهل شيء مفترض ولكن الغباء، الذي هو عدم القدرة على الفهم والتصرف بشكل إيجابي، هو لسوء الحظ أمر واقعي، كم عدد السياسيين الذين يقرؤون أو يتصفحون القرآن للحصول على فهم واسع للشعب المسلم الذي يحكمونه؟ حتى إن كان السياسي أو الحاكم لا يؤمن بأي دين فمن واجبه، استناداً إلى دوره المختار، أن يقرأ ويفهم، بل عليه السعي للتوجيه إلى فهم وتعلم مثل هذه الأمور. كيف لأيّ رجل أن يحكم، أو يتمنّى الحكم، على شعب متنوّع إن هو لم ينجز معرفة مدروسة لاعتقاداتهم الروحية. إن كان هناك دكتاتورية فالدكتاتور في الحقيقة قد يشرّع بأنّه ليس بحاجة إلى ذلك، ولكن إن كان هناك ديمقراطية عندها بالتأكيد يجب ذلك على السياسيين في الحكم. وإذا الزعماء ساندوا واحداً من الأطراف وأغفلوا الآخر، آنذاك هم ديمقراطيون لأحدهم ودكتاتوريون على الآخر.

هم لا يستطيعون الاختفاء خلف حصن الجهل، لأن عليهم واجب أن يعرفوا ويتعلموا، فإن هم أهملوا حقوق قطاع ما، فعملهم غير ديموقراطي. والعمل ضدّ الحقوق الدستورية لقطاع ما ليس بالأمر السهل لأن الضمانات الدستورية ذاتها، لربّما عندما تُختبر، تكون خاضعة لضمانات الطبيعة العلمانية للدستور. وبكلمة أخرى، المحكمة الدستورية قد تعتبر وفقاً للعرف أنّ الدين مسألة روحية وقد تعتبر كذلك حرية الدين والصلاة، وهذا كلّ ما تضمنه تلك المحكمة بهذا الشأن، فالمحكمة قد تعلن بأن حقّ الخضوع لحكم إسلامي أو لحكم أية شريعة أخرى ليس جزءاً من الحقوق الدينية التي تكفلها! المحكمة يمكن أن تجد أن جعل القانون الإسلامي قابلًا للتطبيق على المسلمين يمكن أن يقوّض قوّة السلطة القانونية العلمانية. ومن الممكن أيضا أن تجد العلمانية، في تلك الظروف تماماً، أنه حتى قوّتها الخاصة وسلطتها على كلّ القوانين المحلية ستقوّض، فقد ترفض تلك المحكمة ترك سلطتها أو أنها قد تحكم بأن ترك سلطتها الخاصة أو تقليصها ليس بالأمر الدستوري! رغم أن هذه الاستفسارات، التي قد تبدو معقدة قانونياً، فالحقيقة أنّ النزاعات القانونية بين العلمانيين والدينيين ليست منيعة، بل إنها مجرّد مسألة [illegible]

للمساومة.

عندما يتجاهل الحكّام حقوق قسم ما من الأمة فإنهم يعلنون النزاع والحرب على ذلك القسم، وقد تكون حرباً باردة مع أن إهمال حقوق السود في جنوب أفريقيا شهد ثورة مسلّحة. كلا فالجهل والإهمال الواعي لحقوق قطاع ما ينتج عنه النتيجة نفسها، وهي: مقاومة ومعارضة الظلم، والمقاومة كانت صحيحة سياسياً لقرون عدة ، مع أن الجنود المتبقين من الكوارث ندموا وأقروا بأنهم كانوا آثمين في أعمالهم من أجل المقاومة، لقد حزنوا على اليوم الذي قاتلوا فيه، المسلم ليس كذلك (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) [البقرة: 216] (وقتلوا فى سبيل الله الذين يقتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [البقرة: 190] (إلا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير) [التوبة: 39] (لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الأخر ان يجهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين) [التوبة: 44]

إن لاحظتم أنني قمت بتكرار بعض الآيات، ومن الجيد أنكم لاحظتم ذلك، فأنا ممتن لأننا نرفع الغمامة عن جهلنا، ليس أنتم لوحدكم بل جميعنا، ولهذا عملت على التعلم وكسب المعرفة لأنني كامل الثقة بأن ذلك سيكون تعلماً ومعرفة لكم أيضاً، أما بالنسبة للآخرين فقد يكون ذلك عملية تعزيز لما يعرفونه مسبقاً ووقتاً للالتزام الجديد.

القتال في سبيل الله مفروض على المسلم، وهو أمر أن يحارب في سبيل الله والدين، لذا على السياسيين أن يلاحظوا أهمية الإيمان بالنسبة للمسلم، إنه إذاً مفروض عليهم أن يدركوا أنه بإهمال الحقوق الروحية المشروعة للمسلم فإن هؤلاء السياسيين يخاطرون باستقرار المجتمع الوطني. وهذا لا يعد تهديداً أو شكلًا من أشكال التخويف، إنه تماماً للعلم، العلم الذي من المحزن القول بأنه ناقص نتيجة الجهل، يجب أن ننظر إلى الأحداث في الشرق الأوسط، حيث كانت مجابهة محتومة وعنيفة. والأكثر أهميّة من ذلك أنه علينا أن نتعلّم، السياسي ليس من الضروري أن يكون رجلًا خارقاً ليفهم حقوق الآخرين، كما أنه ليس بحاجة إلى أن يكون مسيحياً أو يهودياً أو مسلماً أو بوذياً أو هندوسياً، يمكن أن

يكون علمانياً أو ملحداً، المهم أن يلم بالمفهوم العام البسيط للسبب والأثر، فعندما نعرف الأثر نبحث عن السبب، وبعد أن نجد السبب نعالج النزاع بأسلوب منطقي بسيط، تلك مسألة واقعية. لا تقل بشكل علني أو في نفسك: ليس لدينا مشكلة مماثلة، فذلك غباء، فالمرء يجب أن يمنع المشكلة. الإنسان الذي يريد السلام يجب أن يبحث عن مناطق النزاع، وبالطريقة نفسها، لتفادي النزاع المستقبلي والمحتمل، يجب أن يعترف الإنسان بمناطق الشعور بالسخط، وأن يزيل هذه المناطق عملياً. التبصر للمستقبل والتخطيط له لا يقتصر على قضايا الماء والإسكان،فعلى الحكومات، ألا يكون همها تأمين البيوت لشعوبها فحسب، بل إن تأمين البيت الروحي للمؤمنين واجب عليها.

ليس من الكافي أن نقول إنّنا نمارس التسامح الديني، بل يجب أن نتفحص تعبير التسامح بمعناه الحقيقي والفعّال، إنه لا يعني الاحترام فقط، إنه في حقيقته سلوك، والتسامح ليس موقفاً إيجابياً، وأن تكون متسامحاً دينياً فليس ذلك بإنجاز. إن الضروري هو الاحترام الإيجابي للإيمان بالاعتبار المستحق للمحتوى الحقيقي الفعلي لجوهر ذلك الإيمان. السياسيون يجب أن يستخدموا ذكاءهم بما تلفظه أفواههم، وإذا لم يستبدلوا احترامهم البسيط المحدد، في تحمّلهم لممارسة الصلاة، بحسن نيّة كاملة نحو المسلمين، فكيف ننسب الذكاء الكبير إلى الحكومة؟

في التحليل النهائي يشترك الحقّ السياسي تماماً مع ما هو مادي، فظلم رجل ما هو عظمة لرجل آخر. ألوان الشخص قد تتغيّر، ولكن تأثيره لا يتغير، الشخص العلماني، يبقى شخصاً علمانياً. إن الحقوق الروحية لا تخلق لا الظلم ولا العظمة المادية، إنها تخلق المجتمع الصحيح والحيوي، إنها تخلق الأخوّة، الجار الممتاز، والصديق في المصيبة.

قلت بأنّ الجهل وقلة الذكاء قد يكونان سبب إهمال الحقوق الدينية، ومن الصحيح أيضاً أن العلمانيين يهابون قوّة الدين المنظّم، فهم يحاولون جاهدين أن يظهروا كمحسنين لهذا الدين المنظم، وأن يظهروا بأنهم يحتضنون رجال الدين في أوقات العناء أو قبل الانتخابات. هذا جوهريا ذريعة لبناء واجهة المبادئ الأخلاقية الدينية في حكم العلمانية، وحقاً رجال الدين، الذين يستخدمهم الزعماء العلمانيون، هم سذج أمام فنّ السياسة

الخفية، ربما رجال دين كهؤلاء يكونون حزبيين، وفي هذه الحالة فإن ولاءهم إلى المبادئ الأساسية والى الإيمان مشكوك فيه، ويجب مواجهتهم في هذا الخصوص. لكن المؤمنين ليسوا سذجاً، ولا هم بعيدون عن فهم طرق ووسائل مكر الصنف العلماني الحاكم، لذا فمن من الأفضل أن تصبح الحكومات بشكل واعياً مدركة لتدني احترامها في نظر المخلصين. ومن الأفضل لنا أن نشدد على الحقائق في كلّ المستويات للقيام بذلك، فنرغم السياسيين على ملاحظة أن جهلهم، أو رفضهم، للحقوق الروحية والدينية الحقيقية هو إهانة للمجتمع.

عندما تدرك الحكومات بأنّها تقدم هذه الإهانة كجبهة حرب، سيكون إدراكهم أسرع بأنّهم يشجعون خلق الدفاعات ضدّ الهجوم المستمر على الأرض الروحية، إن تجنّب القضايا هو مساوٍ لرفضها، ورفض الحقوق هو إعلان حرب ضدّ المؤمنين، أما بالنسبة للمؤمنين فهو استمرار بالقمع، وأوامر القرآن لا يمكن بأية حال أن تكون مقموعة. الحكومات إزاء إيمان حيوي وجدير لا يمكنها أن تكون بغاية البساطة لدرجة أن تعتقد بأنّ الحدود الجغرافية تقرّر منطقة تأثيرها، فالأرض الروحية غير محدودة ولا تحكم من قبل البشر، إن العالم، من الجبل الهائل إلى أصغر وادٍ في هذه الأرض، هو من خلق الله عزّ وجلّ، لذا في التحليل النهائي الخضوع والانحناء الخالص هو لله وحده. الحكومات التي من صنع الإنسان يجب أن تقبل حقيقة أن حكمهم هو حكم ذو مرتبة منخفضة، وأن إدارتهم بشكل جوهري هي للأمور المادية في العالم، وبالتالي فلا تفرقة بين القسم الروحي والدنيوي جسدياً. إن الأعمال الإنسانية محكومة بأوامر القرآن الكريم، والروحانية ليست مفهوماً فلسفياً يلغى بين يوم وآخر. بالمقابل الإسلام هو طريقة حياة أشبه تماماً بالحياة التي يجب أن تكون عليها المسيحية.

ما تم اقتراحه آنفاً هو مقررات معقولة، إنها استثمار معقول للعمل في سبيل الإيمان، والتحرك من أجل تسوية اقتصادية واجتماعية وسياسية كهذه هو شرعي ضمن سياقات الحكومات الديمقراطية التي تسمح بالحرية الدينية، فيصبح من الواجب على المؤمن التقدّم في هذا الاتجاه، وأن يؤثر على أحاسيس الحكومات لتمكين القانون من أن

يُطبَّق، وتنظيم القوى الشرعية في هذه المناطق للبدء بالعمل هو أمر ضروري للمؤمنين، ولينظر المسلم كيف سيجيب الله في يوم الحساب عندما سيسأله بالتأكيد: هل طالبت بأكثر من موقع لبناء مسجد، وبأكثر من حقّك في الصلاة؟ هل ذلك كلّما أمرتك به؟

سواء كنت أطالب بإقامة دولة إسلامية ضمن دولة علمانية أم لا، لربّما يقول السياسي: ليس الأمر كذلك، مع أنّه قد يكون، الأمر ليس كذلك إقليمياً، لأنه يصعب تقسيم الحدود الجغرافية. ولكنّه كذلك عندما يتواجد مجتمع إسلامي يحكم بقواعده الخاصة، وقوانينه الخاصة، ومحاكمه الخاصة ضمن المنطقة الجغرافية للدولة العلمانية. حيث تحافظ الحكومة العلمانية على سيادتها الإقليمية وسيادتها السياسية. ونحن لا نخشى من اكتشاف إمكانية وجود حكومة صادقة من الناس كهذه، فإن كنتُ خائفاً فهل أناصر ذلك؟ ولذلك يجب أن لا ندع المؤمنين يخافون من مناشدة الحكومات لتأسيس مجتمع عادل لهم، وبالنسبة لهذا ربّما الحكومات مدعومة بالقانون المدني والدستور، إلا أن المؤمنين سيكونون مدعومين بكل تأكيد بالمساعدات الوفيرة التي يقدمها لهم الله عزَّ وجلّ: (بلى من اوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين) [آل عمران: 76] (يايها الذين ءامنوا كونوا قومين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الولدين والأقربين إن يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وإن تلوا او تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) [النساء: 135] (بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) [الروم: 5]

السياسيون إذاً يجب ألا يرفضوا أو يهملوا تعلّم وكسب المعرفة تجاه النزاع أو الصراع المحتمل، فمثل هذا التعلّم والمعرفة هو أساس لحل النزاع وتجنّب الصراع المهدِّد، والإهمال ليس عملاً شرّيراً فحسب، لكنّه أساس التصرّف غير القانوني حتى في النظام العلماني. والجهل هو الاستمرار في الجهل، إنّ الاستمرار في الجهل في الواقع تكبّر استبدادي، والذي لا يمكننا تشجيعه ولا حتى السماح به.

زعماء الأمم يترتب عليهم واجب قانوني في متابعة الوسائل لخلق المجتمع العادل، إذاً هم يدينون لجحافل الإسلاميين المؤمنين بالحقّ بأن يحكموا حياتهم وفقاً لقانون أصلي مؤسّس. والمظاهر الدولية الكاذبة للجهود الدبلوماسية تدعم الفائدة المادية لمثل هذه الجهود،

من دون فهم أو اختبار حقيقين، إنها مجرد مصافحة وليست تضامناً مع الغرض الحقيقي، فالنيّة الحسنة الحقيقية والدائمة هي النتيجة، وليس فقط الاعتراف بالحقائق السياسية والاقتصادية، بل بمجمل أساليب حياة الناس. فمن الأفضل الحرية في الاقتصاد وإزالة الحماية الزائفة حيثما تكون النتائج مفيدة إلى الإنسانية ككل، وذلك لنتمكن من تحسين نوعية حياة الأغلبية العظمى في العالم.

أنا أُفضِّل الحرية الدولية للدين الإسلامي، فمثل هذا الإيمان له كلّ الحقّ أن يُستَورد ويُصدَّر عند الرغبة، له الحقّ بالحصول على سفارة روحية وحصانة دبلوماسية من المضايقات العلمانية، وهذا الحقّ حيوي وأساس للمسلمين كما هو حيوي وأساس لكامل الأمة، وإنجازاتهم تؤدي إلى لقاء وتفاعل مبهج ومفيد مع المجتمعات الأخرى، لأنه يؤدّي إلى تفاعل صحيح ومحترم على أساس من الاحترام المتبادل. في القضايا غير الواضحة، الحكومة قد تلقن مثل هذا الاحترام، ولكن في كلّ المناطق فإنها لن تحافظ على ذلك الاحترام فحسب بل ستدعمه بقوة القانون، وهذا ما سيعود بالفائدة على الأمة بكاملها والمجتمع الدولي.

إنّ الحقوق التي نحن قلقون بصددها هي فردية بالقدر الذي هي فيه جماعية، إنّ الحقوق الفردية للمسلم محددة بتمسّكه بقانون كتابه، وهو يقبل بأنّ تكون حقوقه محدّدة بقانون هذا الكتاب. بالانتباه المستحق إلى حقوق الجماعة، فإن ذلك يعالج الحقوق الفردية تماماً لكلّ شخص في تلك الجماعة، كما أن هناك توافقاً للحقوق الفردية ضمن الجماعة، وليس فيها منافسة بين الحقوق على أسس فردية. وكقاعدة شاملة إن مراعاة حقوق الجماعة الإسلامية سيراعي عملياً الحقوق الفردية ضمن تلك الجماعة بكاملها بضربة واحدة.

إذاً فالتأكيد على الحقوق الفردية، في البيئة الديمقراطية وفي البيئة ذات العقلية العلمانية، سيؤدي إلى السماح بحقوق الجماعة التي ينتمون إليها، وسيصبح نتيجة طبيعية للسياسة، علاوة على ذلك إنها نتيجة منطقيّة للسياسة.

العلمانيون لا يجب أن ينسوا بأنّ مصدر العلمانية والسبب الجوهري الأساسي لوجودها هو أن يتم تأسيس قاعدة أخلاقية واسعة خارجة عن الشكلية المسيحية ومستقلة عن الدين، والتي أُعلنت لتحتضن كل شخص ممن كانوا (غير مسيحيين) أو لم يعدوا أن علوم اللاهوت موثوق أو مرغوب بها أو كافية أو مؤكّدة. إذاً العلمانية تنوي أن تؤسّس سلوكاً أخلاقياً عبر تقييم ذكي لكلّما هو جوهري، بشكل مستقل عن أيّة اعتبارات روحية. إنها تفترض بشكل مسبق أنَّ البنّاء والتجربة والتطوير المادي يمكنه أن ينجز هذا.

بهذه الافتراضات ستخضع مبادئ الدين الأخلاقية لمصلحة مفترضة غير دينية، على الرغم من هذا بإمكانها أن تؤسّس مجتمعاً أخلاقياً أو نظاماً عالمياً، والفهم والإدراك ذاته الذي عدته أنه كان كافياً لهذا الغرض أظهر أنّه فشل ومستمر في الفشل! نجحت العلمانية فقط في استرضاء الطلبات الفردية التي تختار تبريرها على أساس الإجماع، وليس على الأسس الأخلاقية، وعلى سبيل المثال: الإجهاض.

تخفق العلمانية في إدراك أنّها تعمل في نظام ديمقراطي! العلمانية فرضت على كلّ شخص دون استثناء الدكتاتورية أو التحزبيّة، وقد تجاوزت الدين الرسمي. على أية حال فالمؤسسات الديمقراطية يجب أن يكون فيها مكان للعلمانيين وغير العلمانيين، وهي في المرحلة الأولى ستواصل غرس تبني القيم الأخلاقية بالتجربة الإنسانية القابلة للقياس. أما في المرحلة التالية فليس لديها مشكلة كهذه لأن أتباع الإيمان تأكدوا أن اعتقاداتهم اللاهوتية هي اعتقادات ثابتة وكافية وموثوقة، وأيضاً ليس هناك أي تأثير مضادّ على الطموحات الأخلاقية للعلمانيين. إن العلماني يشجب الدين لأنه دكتاتوري، رغم ذلك فهو يقع في فخ فرض الدكتاتورية العلمانية على الدين، فالأمر ليس مساومة بل هو إخضاع للدين باسم الحياد، إنه هذا الإخضاع الذي جعل المبادئ الديمقراطية يمكن أن، ويجب أن، تزال. وهذا لا يخضع العلمانيين، إنه يسمح لهم بالنشوء على مستوى موازٍ.

الخطأ في افتراضات العلمانية يكمن في الفرضية الأساسية بأن الدين معني فقط بالأرواح والروحانية، هذا ساذج بشكل مريع! لأن الإسلام والمسيحية كليهما طريقان للحياة. التعليمات والعظات، وأوامر القرآن الكريم بشكل خاص، تؤثّر بشدة على الوجود

الطبيعي للمؤمن. مع أن الكتاب المقدّس يتعامل مع الروحانية، إلا أنه و القدر بنفسه يتعامل مع السلوك البشري في إحساسه الطبيعي، إن ذلك يتعلّق بالتأكيد وبالضبط بالسمة المادية لوجود المؤمن، ويتعلّق بوظائفه الاجتماعية، وعمله الطبيعي، وتفاعله مع العالم المادي، وتفاعله مع السلطة العامة.

السبب الصحيح الوحيد لوجود العلمانية يمكن أن يكمن في: أن الإيمان لا يجب أن يُفرض على أولئك الذين لا يرغبون بأنّ يكون الإيمان مفروضاً عليهم. بالطريقة نفسها العلمانية يجب أيضا ألا تكون مفروضة على أولئك الذين لا يرغبون بأن تكون مفروضة عليهم، وهذا التعايش المشترك معترف به كحقيقة في القرآن الكريم، فهو يتصوّر ويتنبأ بأنّ المؤمنين سوف، ويجب أن، يعيشوا جنباً إلى جنب مع غير المؤمنين!

الدولة التي تعلن أنّها علمانية تكون قد أعلنت أنّها غير ديموقراطية، لأن العلمانية هي الفلسفة التي تخضع الدين، لكن إخضاع الإسلام سيشهد إعلان الجهاد من أجل الدفاع عن النفس، فإذا أبطل سبب النزاع فبالتالي سيتم إبطال الجهاد. إذاً الديمقراطية الحقيقية تحمل مفتاحاً ذهبياً، وبالتأكيد يجب علينا أن نخلق سابقة في دور الديمقراطية، وبذلك، نخلق سابقة في فنّ الحياة.

الفصل السابع

القرآن الكريم هدية البشر

الإسلام، كما أكدت سابقاً، ليس بعيداً عن المسيحية، فكلاهما يتضمّن الاستسلام إلى إرادة الإله الواحد، والإيمان باليوم الآخر. يواصل القرآن الكريم تلقين المؤمنين القدماء والجدد وهو دائم التجديد، ويدمج الماضي بالحاضر إلى الأبد. لماذا كان إيحاء القرآن الكريم ضرورياً في وقت تنزله ذاك؟ إنّ الجواب بسيط، فبالتأكيد إن الحكمة الإلهية ارتأت بوضوح ضرورة وحيوية تنزيل القرآن الكريم بعد ستّمائة سنة تقريباً لظهور المسيحية، ويبدو أن الفترة التي نزل فيها القرآن الكريم قريبة جداً من ظهور المسيحية مما يؤدي إلى طرح السؤال التالي: لماذا تم ذلك بهذه السرعة؟

افتراضي المنطقيّ هو أن الاضطرابات والانقسامات التي واجهت المسيحية، في كل الجبهات الفردية والعلمانية، كانت من الأسباب التي رآها الله عزَّ وجلّ على أنها تستدعي التنزيل، وإضافة إلى ذلك، كان لا يزال هناك أناس يبتعدون عن هذا الطريق الإيماني العام، وبالتالي جاء القرآن الكريم ليملأ ذلك الفراغ. وأنا أفضّل هذا الافتراض لأنّ تبريره موجود بدقة في النصوص المختلفة للإنجيل والتي تختلف عن محتوى القرآن الكريم، الاختلاف هو: الإنجيل يجسد تعاليم وعظات السيد المسيح، بينما القرآن الكريم يجسد أوامر الله وحده. ومن ناحية أخرى التعاليم والعظات قد تكون قاصرة عن بلوغ الهدف في تلقين الإيمان، إلا أن أوامر الله جازمة، وبالتالي لن تكون قاصرة، إنها تتطلب الانتباه وعدم ترك أي شيء لتقدير الإنسان.

القرآن الكريم يشكل مرآة للبشر، في هذه المرآة نرى الرجل على حقيقته، نرى كلّ عيوبه، وظلمه وجبنه. في آيات الكتاب الكريم يتم تعليمنا، ضمن شروط واضحة، ما يجب

علينا وما لا يجب علينا فعله. لماذا هذا الاختلاف الحيوي عن سياق الإنجيل؟ لماذا الاختلاف في الأسلوب؟ القرآن الكريم من أجل الإيضاح يبذل قصارى الجهد، فالله عزَّ وجلّ ببساطة رأى أنه لا توجد طريقة أخرى لكبح الأعمال الأثيمة للبشر إلا بوضع الحدود الصارمة والمنظمة، حتى لا تكون حاجة إلى أية تفسيرات أو استنتاجات بشرية لمعرفة المعنى الواضح والأساسي للقرآن الكريم، إذا جاز التعبير. إنه لا يملي فقط الأمور التي تتعلق بالمبادئ الأخلاقية الاجتماعية، بل يأمر بقانون يتعلق بالمسائل الاقتصادية، والعقود الزوجية، وحقوق الأرامل والأيتام. يملي عليك الأعمال الخيرية، وحتى أنه يملي عليك ما يجب أن تأكله أو لا تأكله. أية قراءة صادقة وموضوعية، يجب أن تجعلك بالتأكيد تصل إلى نتيجة أنه إذا كان مجرد كتاب عادي إذاً يجب أن يكون قد كتبه عالم عظيم في علم الاجتماع، وعالم نفساني، واقتصادي، ومحامٍ، وفيلسوف أخلاقي، ومتنبئ، وعالم سياسي، وقد كتب لكل الأوقات. وفي الحقيقة لا بد أنه كذلك! فالقرآن الكريم يزوّدنا بأفضل حكمة شخصية وعامة لأي زمان.

رغم سلوكك الديني أو اللا ديني فالقرآن الكريم هو هدية تعزز فيها قوّتك الثقافية والأخلاقية، حتى إذا كنت غير مهتمّ بالقضايا الأخلاقية عندها متّع فضولك الثقافي. ابدأ بقراءة القرآن فكلما كان مستواك العلمي أعلى في أيّ حقل، أو كلما كان مقامك الاجتماعي أو السياسي أعظم في المجتمع، كانت حاجتك أكبر في الحصول على نسختك الخاصة من هذا الكتاب العظيم لتبدأ بقراءته. ليس من الضروري أن تلزم نفسك بمهمّة أو بدراسة، وفي الحقيقة أنا أطلب منك عدم القيام بذلك، بل ضع نسختك من القرآن في تلك الغرفة من بيتك التي تكون فيها مسترخياً وفي قمة راحتك، وهناك ابدأ تمعّنك، في الوقت المريح والمناسب الذي تختاره، ولا تجعل ذلك يعيق أعمالك الروتينية الأخرى، أو أفكار العمل أو حتى متعتك. يمكنني أن أطمئنك بأن الوقت الذي ستقرأ فيه الكتاب سيمر بسرور، ذلك الكتاب الذي أُنزل لنا جميعاً، إنه ليس خاصاً بأي مجموعة من الناس، إنه ليس تراثاً خاصّاً بأولئك الذين ولدوا في منزل إسلامي، إنه ليس حقّاً أو امتيازاً منفرداً للبعض، إنه الحقّ والامتياز والتراث لكلّ البشر، فقط كن جريئا بما فيه الكفاية لتفوز بهدية الله، أو بشكل ثقافي تماماً لتفوز بحقك كإنسان.

إن كانت القراءة تؤكّد وتنعش خضوعك إلى الله وإيمانك بيوم الحساب، فليكن. إن كانت القراءة، تساعدك فحسب على تحسين موقفك الأخلاقي، فليكن. إن لم تقم القراءة بعمل أي شيء من ذلك، ولكنها خلقت وغرست فيك احتراماً قوياً للمؤمنين، سيكون ذلك إنجازاً نافعاً. إن كانت القراءة تحسّن قوّتك الثقافية فحسب، وتغرس فيك إحساساً أعظم بالموضوعية، ذلك أيضا إنجاز نافع. أما إذا قرأت ولم تستطع استنتاج أنّك أنجزت أيّ شيء، فلا تقلق، لأنه حتى في تلك الفترة من التخدير الثقافي فهنالك سر عظيم ودائم من الحقيقة، ومن العمق الاجتماعي والأخلاقي، قد زرع بذرة فيك، وستجني ثمار مسعاك في وقت زمني قصير، وإنجازك لربّما سيكون أعظم من الجميع.

قد يحدث بأنّك ستكون مقتنعاً بأن الإسلام في حقيقته، كما هو واضح في القرآن الكريم، هو الحصن والمعقل الوحيد ضدّ العواقب العلمانية التي تغرس بذور اللاأخلاقية التي ستحمل ثمار الفسوق والفجور. وأنت ربّما تدرك بشكل جيد أنّ فناء الإسلام سيؤدي إلى ظلام وإلى الأرض مقفرة وزمن حتمي بين الوقت الحاضر ويوم الحساب، أو نهاية العالم كما يميل البعض لتسميته. الأرض المقفرة التي ستتصوّرها ستمر بفترة زمنية طويلة وكما يبدو لا نهائية، سقوط لا قعر له، وهوّة خالدة من العدم، ناهيك عن البؤس الإنساني. ولن يسرع تلك الساعة لا كمية ولا مقدار الصلاة، ولا حتى الله عزَّ وجلّ سيستجيب لدعاء الأمم للنجاة من مثل هذا الظلام الموحش، أو من الفساد الإنساني في تلك السنوات اللانهائية.

أنت لربّما تعترف بأنّ الجماعة الإسلامية هي جماعة مختارة، مختارة بالحبّ وبأمر من الله عزَّ وجلّ للحفاظ على المبادئ الأخلاقية لكلّ البشر الذين سيؤمنون، وذلك لسد الثغرة بين الوقت الحاضر وبين اليوم الآخر. أنت ربّما ستتعلّم جيداً أنّه من دون ذلك فإن كافة الأديان، ستكون عما قريب، كالخراب المقصوف الذي تعرض لهجوم مستمر من قبل نيران لا منتهية من القصف العلماني. ربما ستعترف بشكل جلي بأن مسيرة الإيمان إلى الدقيقة الأخيرة من اليوم الآخر هي ضرورية وحاسمة من أجل بقائنا كبشر نتحلى بمشاعر الإنسانية، ولو حُرم المجتمع من ذلك فسوف يخسر كل أحاسيس القيم ذات المعنى والهدف،

لن يكون هناك اهتمام بالسلوك القويم والإنساني الواجب على الفرد تجاه الآخرين. ربّما تتوقع بأنّ الانحطاط، والفناء، للنظام الأخلاقي سيؤدي إلى هبوط وفناء كلّ قانون ونظام إنسانيين. الفوضوية الاجتماعية ستصبح نظام عهد الأرض المقفرة. وأنت ربّما تعرف في الحقيقة بأنّ الدرع والمجن الأخلاقي، والقفاز الأخلاقي الذي يحميك من هذا الهجوم العلماني هو القرآن الكريم.

وإن كان في كل ما كتبته حتى ولو قطرة واحدة من الحكمة فألق ملاحظة بسيطة ومبهجة على هذه الآية من القرآن الكريم: (ولو انما فى الأرض من شجرة اقلم والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمت الله إن الله عزيز حكيم) [لقمان: 27].

---

[1]- إنجيل ماثيو: أوّل إنجيل في العهد الجديد، فيه وصف لحياة وتعليمات السيد المسيح. يُظن أنه كُتب من قبل القديس ماثيو.